الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

ابن تافراجين ونشاطه السياسي

(730-766 هـ/1329-1365م)

مذكرة مكملة تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر
في التاريخ الوسيط تخصص الغرب الإسلامي

إعداد الطالبتين:
زينب صحراوي
صنية قديري

إشراف الدكتور :
واعظ نويوة

لجنة المناقشة

الأستاذ	الصفة	المؤسسة الأصلية
أ.سليم حاج سعد	رئيس اللجنة	جامعة الشهيد حمه لخضر–الوادي
أ.واعظ نويوة	مشرفا ومقررا	جامعة الشهيد حمه لخضر–الوادي
د.علي شعوة	عضوا مناقشا	جامعة الشهيد حمه لخضر–الوادي

الموسم الجامعي:2019- 2020م/ 1440- 1441هـ

بسم الله
وقل رب زدني علما

الاهـداء

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه اجمعين وبعد

اهدي هذا العمل المتواضع للوالدين الكريمين حفضهما الله والى كل افراد اسرتي والى كل الأصدقاء والزملاء ومن كانوا برفقتي ومصاحبتي اثناء دراستي في الجامعة الى كل من علمني حرفا في هذه الدنيا والى كل من ساعدني في هذا العمل ولو بكلمة طيبة ونسأل الله ان يجعلنا نبراسا لكل طالب علم

زينب صحراوي

rawpixel

الإهـداء

إلى من بفضلهما أزداد فكري ووجداني

إلى من وضع المولى سبحانه وتعالى الجنة تحت قدميها ووقرها في كتابه العزيز (أمي الغالية) أسأل الله أن يرعاك بحفظه واطال.

عمرك يا من أعتبرها عيناي التي تبصران الحقيقة والحدس الصادق في كل قرار اتخذه.

إلى صاحب الوجه الطيب، والأفعال الحسنة الذي لم يبخل علي طيلة حياته (والدي العزيز أطال الله في عمرك وجعلك السند الفولاذي الذي لا يميل مهما ثقل ومال حالي.

وإلى اخوتي الاحدى عشر شتيلة توفيق، محمد رضا وزهرة الذين كان لهم بالغ الأثر في كثير من الأوقات الصعبة، وكذلك فؤاد وكمال والحبيب ونادية ونوال وعائشة وسليمة والى الشتيلة المحفوظة عند المولى عز وجل منذ سنة وعشرة أشهر أسأل الله لك الرحمة أخي التجاني.

و إلى زوجة أخي الموقرة أحلام أسأل الله أن يوفقك ويحفظ لك ابنا اخي حفناوي والتارزي .

الى أغلى صديقتين **اكرام ويسرا** كل الحب والاحترام يا رفيقتا الدرب.

الى من ساندني منذ بداية هذه الدراسة **"حمدي الساسي"** ها انا ذا أتممت عملي واهديك ثمرة انجازي وزميلتي بفضل مساعدتك، كما أحيي أيضا زميلي الذي لا يكل مللا من مد يد المساعدة **"عزيز لسود"** تحياتي لك.

إلى كل أصدقائي، وجميع من وقفوا بجواري وساعدوني بكل ما يملكون وأخص بإهدائي هذا إلى "أحدهم"، لك مني كل كلمات الامتنان على التجربة القاسية التي زادتني قوة وعزيمة ودفعة نحو الأمام لمواجهة الحقائق والتحري عليها قبل تقديم الثقة التامة، وهذه احدى خصائص البحث التاريخي والتي علمتني اياها على أرض الواقع.

أقدم لكم جميعا هذا العمل، وأتمنى أن يحوز على رضاكم.

صنـيـة

قـديـري

شكـر و عـرفـــان

﴿ف ٱذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وٱشْكُروا لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ ﴾

نحمد الله عز وجل الذي وفقنا في إتمام هذه الرسالة
والذي ألهمنا الصبر والصحة والعزيمة، فالحمد لله حمدا كثيرا

نتقدم بأسمى آيات الشكر والتقدير وعظم امتناننا لأستاذنا الفاضل واعظ نويوة الذي رعى هذا الإنجاز فكرة وتوجيها وتقويما.... وأبدا نبقى شاكرتين لفضله ورحابة صدره وكما نود أن نتبعها كلمات الشكر والامتنان لأعضاء لجنة المناقشة على صبرهم ووقتهم في قراءة هذا العمل وتثمينه .

كما نتقدم بخالص شكرنا واحترامنا وعرفاننا بالجميل إلى أساتذة قسم التاريخ لما قدموه لنا طيلة مشوارنا الجامعي، بوركت جهودكم وجزاكم الله عنا خير الجزاء .

كما نتقدم بالشكر الجميل إلى كل من قدم لنا يد العون ولو بمعلومة أثرت هذا البحث وهم لاشك كثيرون وإلى جميع زملائنا الذين ساعدونا ولو بكلمة طيبة خلال مشوار بحثنا ونخص بذلك: حمدي الساسي، عزيز لسود وهارون غربي وفقكم الله جميعا.

وبعد فإن كل عمل يقوم به الإنسان فهو ناقص ومحل نقد،

والعذر في ذلك أنه من صنع البشر والكمال كله لله عز وجل والله ولي التوفيق.

قائمة المختصرات

المختصر	الكلمة
تر	ترجمة
ج	جزء
ط	طبعة
(د.ط)	دون طبعة
(د.ب)	دون بلد
ص	الصفحة
ص ص	من الصفحة الى الصفحة
م	التاريخ الميلادي
هـ	التاريخ الهجري
ق	قسم
تع	تعريب
تح	تحقيق
مج	مجلد
ع	عدد
(...)	حذف لفظة، جملة أو أكثر من القول المستشهد به

مقدمة

مقدمة

عرف المغرب الإسلامي منذ مطلع القرن 7هـ/13م، تحولات جد خطيرة في مختلف الميادين، تعتبر معركة حصن العقاب سنة 609هـ/1212م بداية النهاية للدولة الموحدية، اذ دب الضعف في اوصالها حتى سقطت سنة 668هـ، ونتيجة لذلك انقسم المغرب والاندلس الى أربع دويلات، المرنيون في المغرب الأقصى، والزيانيون في المغرب الأوسط والحفصيون في افريقية وبنو الأحمر في الاندلس.

وقد كانت الدولة الحفصية أحد أهم هذه الدول، اذ عرفت أول الامر حكاما أقوياء، ثم ما لبث أن تسلل اليها الضعف أيضا وسيطر على قراراتها الوزراء ومن أشهرهم الحاجب ابن تافراجين.

وعليه فقد اخترناه كموضوع لدراستنا بعنوان: **ابن تافراجين ونشاطه السياسي (730-766هـ/ 1329-1365م).**

ولهذا فإن دراسة التاريخ السياسي للدولة الحفصية يكتسي أهمية كبيرة، وذلك بسبب الأحداث والإنجازات العظمة والتي أضفت طابعا مميزا على الساحة السياسية، تحديدا بالفترة المنحصرة بين (730-766هـ/1329-1365م) وهذه المدة تحديدا تمثل نشاط ابن تافراجين السياسي.

ومن هنا نتطرق إلى طرح الإشكالية الرئيسية التالية:

- فيما يتمثل نشاط ابن تافراجين السياسي بالدولة الحفصية خلال الفترة (730-766هـ/1329-1365م)؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية عدة اشكاليات فرعية وهي كالتالي:

❖ كيف قامت الدولة الحفصية؟

❖ من هو الحاجب ابن تافراجين؟

❖ فيما تمثلت إسهامات ابن تافراجين السياسية؟

❖ ما هي أبرز التحولات التي أحدثها ابن تافراجين في السلطة الحفصية؟

وقد كان اختيارنا لهذا الموضوع مبنيا على دوافع ذاتية واخرى موضوعية:

ومن الأسباب الموضوعية:

- البحث عن عناصر وشخصيات غير مدروسة في تاريخ بلاد المغرب الإسلامي.
- ابراز شخصية أحد المحنكين السياسيين والتي أغفلت عنها الدراسات التاريخية ولم توفيها حقها اللازم لما له من أهمية في دراسة هذا الجانب.

أما الأسباب الذاتية:

- الرغبة في التعرف على التاريخ السياسي للدولة الحفصية، خاصة وأنه موضوع محل دراستنا.
- الرغبة في إزاحة الغموض عن أحد أبرز الشخصيات المؤثرة في التاريخ السياسي للدولة الحفصية.

خطة البحث:

وللإجابة على الإشكالية الرئيسية والتساؤلات الفرعية، فقد اعتمدنا في دراستنا لهذا الموضوع على خطة حاولنا من خلالها الالمام بجل جوانب الموضوع وهي على النحو التالي:

- الفصل التمهيدي: تناولنا فيه التعريف بالدولة الحفصية، وقسمناه الى أربعة عناصر وذلك تمهيدا للموضوع الرئيسي الا وهي: نسب الحفصيين وتأسيس الدولة الحفصية وحدودها الجغرافية، إضافة الى لمحة موجزة عن تاريخها.

- الفصل الثاني: فقد خصصناه للتعريف بشخصية ابن تافراجين واسهاماته السياسية بالفترة المنحصرة (730-749هـ/1329-1349م)، وقد قمنا بتقسيمه الى أربعة مباحث، حيث خصصنا المبحث الأول للتعريف بشخصية ابن تافراجين، أما المبحث الثاني فقد عنوناه بدور ابن تافراجين السياسي في عهد السلطان الحفصي أبي بكر بن يحي (730-749هـ/1329-1349م)، أما المبحث الثالث فقد جاء بعنوان دور ابن تافراجين في تولية السلطان ابي حفص عمر الحكم (747-748هـ/1347-1348م)، وفي ما يتعلق بالمبحث الرابع فقد كان بعنوان دور ابن تافراجين بالتدخل المريني.
- الفصل الثالث: فقد قمنا بعنونته بإسهامات ابن تافراجين السياسية (750-766هـ/ 1345-1365م)، وقمنا بتقسيم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث: حيث خصصنا المبحث الأول لدور ابن تافراجين في تولية السلطان ابي إسحاق ابن إبراهيم الحكم، اما المبحث فقد جاء بعنوان دور ابن تافراجين في عهد السلطان ابي إسحاق، اما المبحث الثالث، فقد وسمناه بعنوان علاقات ابن تافراجين الخارجية

وقد أنهينا البحث بخاتمة تتضمن أهم ما توصلنا إليه من نتائج، ثم أتبعناها ببعض الملاحق المتنوعة والتي تخدم الموضوع.

اهم المصادر والمراجع:

أهم المصادر:

ومن ابرز المصادر التي اعتمدنا عليها في هذه المذكرة هي: كتاب تاريخ ابن خلدون المسمى بـ: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، لأبي زيد عبد الرحمن ابن خلدون المتوفي في808هـ/1406م، اذ يعتبر هذا الكتاب من المصادر الهامة في تاريخ المغرب، بل ان الباحث في تاريخ الشمال

الافريقي لا غنى له عن تاريخ ابن خلدون، واعتمدنا في دراستنا هذه الجزء السادس الخاص بالحديث عن الدولة الحفصية، بحيث افادنا من خلال معلوماته في الفصلين الثاني والثالث.

أما عن مؤرخي الدولة الحفصية، فقد اعتمدنا في هذا الحث على كتاب الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، لأبي العباس ابن القنفذ القسنطيني، المتوفي في 810هـ/1408م، وكتاب تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية للزركشي المتوفي في894هـ/1488م، وكتاب الأدلة البينية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية لابن الشماع، هذه المصادر امدتنا بمعلومات وتفاصيل حول سير سلاطين بني حفص ودور ابن تافراجين ونشاطه السياسي مع بعض السلاطين الذين تزامن وقته معهم.

أهم المراجع:

- ✓ تاريخ افريقية في العهد الحفصي بين ق13م الى نهاية ق15م الجزء الأول لمؤلفه، روبار برنشفيك، فقد عالج الكتاب تاريخ افريقية في العهد الحفصي من الناحية السياسية والحضارية، وافادنا بما أورده من تحليلات جد هامة عن اسهامات ابن تافراجين السياسية وكذا عن سير العلاقات بين افريقية وجمهورية البيزة ومملكة آراغون.
- ✓ كما يعتبر كتاب دراسات في تاريخ وحضارة المغربي والاندلس لكمال السيد أبو مصطفى من الكتب المهمة التي ساعدتنا في انجاز هذا البحث، مما وفر لنا معلومات لا بأس بها في الفصلين الثاني والثالث عند الحديث عن اسهامات ابن تافراجين السياسية.
- ✓ كتاب السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي لمحمد العروسي المطوي، وقد امدنا بمعلومات قيمة في ما يخص التعريف بالدولة الحفصية وكذلك دور ابن تافراجين في السلطة الحفصية.

وهذا بالإضافة الى عدد كبير من المصادر والمراجع، وبعض الأبحاث في المجلات التاريخية والرسائل الجامعية التي تم تثبيتها في قائمة المصادر والمراجع.

أما عن المناهج التي اتبعناها في بحثنا هذا فهي كالتالي: المنهج السردي للأحداث وكذلك المنهج التحليلي القائم على تحليل وتفسير الأحداث ومناقشتها وفق رؤية علمية، وبالإضافة الى المنهج الوصفي وذلك من خلال وصف المدن وخصال الشخصيات.

ومن الطبيعي أن تواجهنا في إنجاز هذه المذكرة العديد من الصعوبات والتي هي طبيعية في إنجاز مثل هذا العمل فنذكر من أهمها:

- قلة المصادر المتعلقة بشخصية ابن تافراجين، خاصة في ما يخص نشأته وحياته الخاصة.
- قلة الدراسات السابقة بل تكاد أن تكون معدومة بالنسبة لدراسة نشاط ابن تافراجين ولو بجزئيات بسيطة، الأمر الذي عرقل مسار بحثنا.
- انعدام المصادر والتي تتعلق بالجزء الخاص بعلاقات ابن تافراجين الخارجية.

وفي الختام نرجو أن نكون قد وفقنا بإخراج هذا البحث في أبهى حلة.

الفصل التمهيدي

التعريف بالدولة الحفصية

(627-981هـ/1229-1573م)

كانت الدولة الحفصية جزء من الدولة الموحدية، لكنها انفصلت عنها في سنة627هـ1229م، ويعود أصل تأسيسها على يد الأمير أبي زكرياء، الذي يرجع أصله إلى أبي حفص عمر الهنتاتي رفيق المهدي بن تومرت[1] المؤسس الروحي للدولة الموحدية وعبد المؤمن[2] بن علي المؤسس الفعلي لها.[3]

أولا: نسب الحفصيين.

ينتسب هؤلاء الحفصيون إلى أبي حفص عمر الهنتاتي[4] وهو أبو محمد بن الشيخ أبي حفص عمر بن يحيى بن محمد بن والد بن علي بن أحمد بن ولال بن إدريس بن خالد بن اليسع بن إلياس بن عمر بن وافتن بن محمد بن محمد بن سالم بن عبد الله[5]، ويرجع نسبه إلى قبيلة هنتاتة[6] البربرية من فروع قبائل المصامدة[7] في المغرب الأقصى وهو من خاصة

[1] **المهدي بن تومرت:** هو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن كنيته أبو عبد الله من قبيلة هرغة، ولد في الفترة ما بين 469-474هـ/1076-1081م وهو صاحب الدعوة لقيام الدولة الموحدية 515هـ -1221م، توفي سنة 524هـ -1129م، ينظر: عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت حياته واراؤه وثورته الفكرية والإجتماعية وأثره بالمغرب، ط-1، دار الغرب الإسلامي، 1403هـ/1983م، ص 34.

[2] **عبد المؤمن بن علي:** ولد بقرية تاجرة آخر عام 487هـ -1095م، بويع بالخلافة سرا بعد وفاة المهدي بن تومرت 14 رمضان 524هـ -1129م، ثم بويع البيعة العامة بتينملل سنة1131م ربيع الأول 526هـ، توفي في10جمادى الآخر 558هـ -1163م، ينظر: البيدق، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، د-ط، دار المنصور للطباعة الرباط ،1971م، ص 34.

[3] عبد الكريم غلاب: قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي عصر الإمبراطورية العهد التركي في تونس والجزائر، ج2، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت -لبنان، 1426هـ-2005م، ص226.

[4] شوقي عطاالله الجمل، المغرب العربي الكبير افي العصر الحديث، تونس ليبيا الجزائر المغرب، ط1، ملزمة للطبع والنشر، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، مصر، ص26

[5] ابن الشماع: الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح الطاهر بن محمد المعموري، د ط، الدار العربية للكتاب،1984م ص48.

[6] **هنتاتة:** من أكبر قبائل المصامدة، كانت تسكن الجبال الشامخة الواقعة خلف مراكش، ينظر: البيدق، مصدر سابق، ص37.

[7] **المصامدة:** قبيلة أمازيغية تسكن القسم الغربي من الأطلس، ينظر: شمس الدين أبي عبد الله بن محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، رحلة إبن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح عبد الهادي التازي، مج 1، د-ط، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1417هـ -1997م، ص 169.

ابن تومرت وأحد مريديه العشرة السابقين إلى مبايعته ونصرته[1]، وإن كانت بعض الروايات المبالغة تنسبه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه[2]، وكان لأبي حفص مكانة كبيرة لدى محمد بن تومرت وقد تولى عدة إدارات في عهده،[3] ويذكر المؤرخون أن ابن تومرت هو الذي منحه الاسم والكنية.[4]

وقد كان للشيخ أبي حفص الصوت الأعلى والمقام الأسمى في دولة عبد المؤمن وأبناءه من بعده،[5] توفي سنة618هـ– 1221م، في مدينة سلا وهو في طريقه إلى مراكش عائدا من الأندلس إثر إصابته بوباء بالغ الخطورة، وقد بقي ذكره عالقا بأذهان الأجيال الموالية التي أضفت عليه لقب "المجاهد"، "المقدس"[6] وتعاقب أبناؤه على ولاية إفريقية بموافقة الخليفة وجمهور الموحدين.[7]

ثانيا: تأسيس الدولة الحفصية.

تعتبر ولاية عبد الواحد بن أبي حفص على إفريقية تمهيدا لانبعاثات دولة جديدة فيها،[8] وذلك لما عزم السلطان الناصر بن يعقوب المنصور[9] على الانصراف من إفريقية بعد أن هدأها وأقام بها حولا نظرا أن يخلف عليها الشيخ عبد الواحد.[10]

---

[1] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، ط2، دار مكتبة الحياة، بيروت،1385هـ– 1965م، ص8.

[2] ابن خلدون: التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، د–ط، دار الكتاب اللبناني ،1979م، ص11.

[3] شوقي عطاالله الجمل، مرجع سابق، ص26.

[4] عبد الكريم غلاب، مرجع سابق، ص227.

[5] حسن حسيني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، ط3، دار الكتب العربية الشرقية، تونس، 1373هـ، ص102.

[6] روبار برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن13إلى نهاية القرن15م، تر: حمادي الساحلي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت–لبنان 1988م، ص45.

[7] الفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، تر عبد الرحمان بدوي، ط 3، دار الغرب الإسلامي بيروت– لبنان،1987م، ص297.

[8] محمد العروسي المطوي، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، د–ط، دار الغرب الإسلامي بيروت–لبنان،1406هـ–1986م، ص 98.

[9] **الناصر بن يعقوب المنصور**: الخليفة الموحدي الرابع تولى الحكم ما بين سنوات 595–610هـ/1198–1213م، توفي 10 شعبان 610هـ –1213م، عرفت الدولة في عهده خسارة كبيرة إثر هزيمته في معركة حصن العُقاب609هـ–1212م، ينظر: الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح الحسين اليعقوبي، ط1، المكتبة العتيقة، تونس 1998م، ص ص 36–39. ينظر: عبد الكريم غلاب، مرجع سابق، ص206.

[10] الزركشي، المصدر نفسه، ص39.

ويعود أصل هذه التولية إلى ثورة عارمة تسمى ثورة بني غانية[1] قامت في إفريقية، فجاء الخليفة الناصر بن يعقوب المنصور وقام بقمع هذه الثورة، لكنه لم يقض عليها تماما، وعندما أراد الرجوع إلى العاصمة مراكش ولّى أب الأسرة الحفصية الشيخ عبد الواحد بن أبي حفص على إفريقية وأعطاه صلاحيات ليتمكن من القضاء على ثورة بني غانية،[2] حيث أوقع أبو حفص هزيمة قاصمة بابن غانية عام603هـ–1206م، وتعتبر هذه الواقعة النهاية الحقيقية لنشاط بني غانية بإفريقية، وبداية ولاية أسرة بني حفص عليها.[3]

في سنة623هـ–1226م ولّى المأمون أبناء الأسرة الحفصية على إفريقية واستقر أبو محمد عبد الله على تونس، وعهد لأخيه أبي زكرياء على مدينة قابس[4]، وأضاف إليها الحامّة[5]، إلا أنه سرعان ما دبّ الخلاف بين الأخوين ابنا الشيخ بن أبي حفص خاصة بعد أن امتنع والي إفريقية أبو محمد عبد الله عن مبايعة الخليفة الموحدي الجديد في مراكش أبي العلاء إدريس المأمون، فعمل الخليفة على كتابة ولاية إفريقية إلى أبي زكرياء[6]، في رجب 625هـ–1228م حكم أبو زكرياء إفريقية وملكها وأنزل أخاه أبا محمد بقصر بن فاخر ثم

---

[1] **ثورة بني غانية:** بني غانية من بقايا المرابطين الذين ينتمون إلى قبيلة مسوفة الصنهاجية قادوا ثورة كبيرة ضد الدولة الموحدية كانت من أسباب سقوطها، دامت حوالي خمسين سنة 580–633هـ/1184–1235م. ينظر: حسن حسني عبد الوهاب، مرجع سابق، ص106.

[2] الزركشي، مصدر سابق، ص، ص 46، 49.

[3] شوقي عطاالله الجمل، مرجع سابق، ص28.

[4] **قابس:** تقع مدينة قابس في الجنوب الشرقي من إفريقية، ويذكر ياقوت الحموي، أنها تقع بين طرابلس وصفاقس، وبسنها وبين طرابلس 8 منازل، وهي من أعمال إفريقية في الإقليم الرابع. ينظر: محمد بركات البيلي، مدينة قابس منذ الغزوة الهلالية حتى قيام الدولة الحفصية، أطروحة مقدمة للحصول على درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، كلية الآداب للدراسات العليا، جامعة القاهرة، مصر، 1421هـ/2000م، ص03. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج 04، د.ط، دار صادر، بيروت، لبنان، ص289.

[5] **الحامة:** وتسمى حمة مطماطة وهي مدينة في جهة قصطيلية بمقربة من مدينة قابس ويذكر الحميري بأنها مليئة بالخيرات في قوله "ماؤها شروب وبها نخيل كثيرة، وأهلها موصفون بالشهامة والنجدة. ينظر: الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، د.ط مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1974، ص200.

[6] الزركشي، مصدر سابق، ص ص 46، 49.

بعثه إلى المغرب[1]، يعد أبو زكرياء يحي الحفصي المؤسس الحقيقي للدولة الحفصية بإفريقية[2]، كما بادر إلى توسيع حدود دولته بضم قسنطينة[3] سنة 628هـ–1230م ثم رحل إلى بجاية[4] وفتحها هي أيضا6، وبذلك تمكن أبو زكرياء وفي وقت قصير أن يجمع تحت سلطته كامل أنحاء إفريقية فأسس الدولة الحفصية التي سيكتب لها الدوام ثلاثة قرون ونصف قرن[5].

في عام634هـ–1236م بويع أبو زكرياء البيعة الثانية وذكر اسمه في الخطبة ولم يتسم بأمير المؤمنين بل اقتصر على لقب الأمير فقط[6]، وقد توالت عليه البيعات بعد ذلك من جهات متعددة، ففي عام636هـ–1239م أتته بيعة بلنسية[7].

وقد استقرت الأمور في إفريقية أيام أبي زكرياء الحفصي خير استقرار، فكانت أيامه خير الأيام وأكثرها سعادة وأدراها أرزاقا، وأكثرها أفراحا، ونام الناس معه على مهاد العافية.

---

[1] ابن خلدون، تاريخ بن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6، د.ط، دار الفكر بيروت–لبنان، 1421هـ –2000م، ص 380، 381.

[2] ابن القنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تر: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، د، ط، الدار التونسية للنشر، 1968م، ص 107.

[3] **قسنطينة:** هي مدينة قديمة أسسها الفينيقيون، وخربت في العصر الروماني، وأعاد بناءها الامبراطور البيزنطي قسطنطين الأول، وهي مدينة كبيرة عامرة وحصينة ولا يعرف بإفريقية مدينة أمنع منها. ينظر مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الامصار ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ص165. ينظر: سالم أبو القاسم غومة، العلاقات السياسية وأثرها الحربي بين الدولة المرينية ودولتي الزيانيين والحفصيين ببلاد المغرب في العصر الوسيط، المجلة الجامعة، ع 18، مج2، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم، جامعة الجبل الغربي، 2016م، ص57.

[4] **بجاية:** مدينة عتيقة بناها الرومان في منحدر جبل شاهق، على ساحل البحر المتوسط، تحيط بها أسوار عالية متينة، وتحتوي على العديد من المؤسسات التعليمية، كالجوامع والمدارس والزوايا... وعلى المرافق العامة كالحمامات والفنادق ومارستانات، وبها أسواق، الا أنها كثيرة العقبات في السير. ينظر: حسن الوزان، وصف افريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص50.

[5] روبار برنشفيك، مرجع سابق، ص 51.

[6] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مصدر سابق، ص381.

[7] أحمد الطويلي، في الحضارة العربية التونسية، د ط، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة –تونس، ص 16.

توفي ليلة الجمعة 29 جمادى الأخرى من سنة 647هـ-1249م، ودفن بجامع بونة،[1] وترك لابنه المستنصر ملكا واسعا، وهكذا تأسست الدولة الحفصية[2].

ثالثا: الحدود الجغرافية للدولة الحفصية.

يكتنف حدود هذه المنطقة الجغرافية غموض كبير، فالمعطيات التي يوردها مختلف الجغرافيين والمؤرخين العرب المسلمين ليست دائما متطابقة، ومن المؤكد أن الحدود الثابتة للدولة الحفصية لم تكن واضحة في أذهانهم تمام الوضوح[3]، وبوجه عام فإن حدود الدولة الحفصية قد امتدت من نواحي طرابلس[4] في الشرق إلى بجاية في الغرب، لكن الحدود تتغير كثيرا بسبب الصراعات على الحكم، والتدخلات الخارجية من طرف الزيانيين والمرينيين[5].

رابعا: لمحة موجزة عن تاريخ الدولة الحفصية.

يكاد يتفق المؤرخون على أن الدولة الحفصية هي امتداد لدولة بني عبد المؤمن الموحدية، وعرفت هذه الدولة أوضاعا سياسية واقتصادية وثقافية، وقد حرص الحفصيون منذ ولايتهم على إفريقية إلى ضمان السلم والأمن والاستقرار بها، وسعى أبو زكرياء الحفصي وخلفاءه من بعده للقضاء على الفتن التي تمثل سببا رئيسيا للتخريب وعدم الاستقرار السياسي والتدهور الاقتصادي والثقافي[6]، فكانت سياسته بداية طيبة لتحقيق ذلك الاستقرار

---

[1] **بونة:** أو عنابة هي مدينة عتيقة بناها الرومان على ساحل البحر المتوسط على بعد نحو 120 ميلا غربا، وكانت تسمى قديما اوربونة. ينظر: حسن الوزان، مصدر سابق، ص61.

[2] ابن القنفذ، مصدر سابق، ص 114.

[3] محمد الطالبي، دائرة المعارف التونسية في تاريخ افريقية تر: محمد العربي عبد الرزاق ورياض المرزوقي، د.ط، بيت الحكمة قرطاج، 1994م، ص86.

[4] **طرابلس:** تعني بالرومية والاغريقية ثلاث مدن، وقد سماها اليونانيون، طرابليطة، وتعني أيضا ثلاث مدن، لأن طرا معناه ثلاث وبليطة معناها مدينة. وعلى هذه المدينة سور صخر جليل البنيان، وهي على شاطئ البحر، وبها جامع بني على أحسن مبنى، وبها أسواق حافلة ورباطات كثيرة يأوي إليها الصالحون، كما اشتهرت بكثرة خيراتها وثمارها ولها بساتين جليلة في شرقيها وغربيها. ينظر: ياقوت الحموي، مصدر سابق، مج04، ص25.

[5] الفرد بل، مرجع سابق، ص 297.

[6] أحمد الطويلي، مرجع سابق، ص15.

الذي صلحت به البلاد، ورخت الأسعار وأمنت الطرق وجمع من الأموال والسلام ما لم يجمعه أحد[1]، كما تميزت هي الأخرى بنظامها السياسي الدقيق الذي أظهرت فيه معظم المناصب الرئيسية المعروفة في أشكال الحكم، وعرف الحاكم فيها بالأمير والخليفة[2]، ومن أمرائها الذين اتخذوا لقب الخليفة نجد المستنصر الذي أقام صرح الدولة وقضا على خصومها[3]، كما اتبعت هذه الدولة في سياستها نهج الموحدين حتى كاد أن لا يوجد هناك فرق بين الحكومتين إذا استثنينا بعض الفروق الطفيفة[4]، كما ارتبطت الدولة الحفصية منذ قيامها بعلاقات عدة مع البلدان المجاورة ومن بينها علاقتها مع مصر، يذكر ابن القنفذ وابن الشماع على أن العلاقة بينهما كانت طيبة، أما عن علاقة الحفصيين ببني مرين في المغرب الأقصى وبني زيان في المغرب الأوسط عرفت توترا واضطرابا في كثير من الأحيان، والسبب في ذلك هو سعي كل دولة منهم للاستحواذ على أكبر جزء من رقعة الدولة الموحدية، وظلت الدولة الحفصية تتأرجح بين الاستقرار والفوضى في ظل حكام بني حفص قويهم وضعيفهم[5].

أما عن المقومات الاقتصادية فلا شك أن ما تتمتع به الدولة الحفصية من مزايا طبيعية تتمثل في موقعها الجغرافي المتميز وإمكانياتها الزراعية قد ساهمت في ازدهار الحياة الاقتصادية بما فيها من أسواق قائمة وتجارة رائجة في أنواع الحبوب والتمور والماشية والصوف، كما كانت هناك المواصلات بحرا بين المملكة الحفصية والولايات الإيطالية وجنوة وصقلية[6]، وارتبطت معها بمعاهدات اقتصادية سواء كان ذلك في مدينة بونة أو تونس، كما

[1] الزركشي، مصدر سابق، ص55.

[2] عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، مرجع سابق، ص8.

[3] الزركشي، مصدر سابق، ص72.

[4] عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، مرجع سابق، ص11.

[5] محمد العروسي المطوي، مرجع سابق، ص ص152، 156.

[6] محمد بن عبد الرحمن الجيلالي، مرجع سابق، ص44.

كانت الدولة الحفصية بدورها تستورد أنواع الزجاج وأدوات الحديد الصناعية[1]، وانعكس ذلك على تنوع الأسواق وتعددها كأسواق الصباغين والعطارين وأسواق الذهب والفضة.

وفي الميدان الثقافي شهدت الدولة الحفصية ازدهارا ثقافيا ونهضة عمرانية ونشاطا علميا كبيرا، مما جعلها مركز إشعاع حضاري عظيم، كان مبعث إعجاب كبير في نفوس من زارها من الرحالة المغاربة والأندلسيين، فكتبوا منوهين بما وصلت إليه من نهضة أدبية وعلمية وثقافية وعمرانية بكثرة أدبائها وعلمائها من جهة، وبروعة مبانيها وتعدد جوامعها ومساجدها ومدارسها والتفنن في بناء القصور من جهة أخرى[2].

واشتهر الخلفاء الحفصيون عموما برعاية الأدباء وتشجيع الفنانين وتأسيس المؤسسات العلمية والدينية من جوامع ومدارس ومكتبات وزوايا، نذكر منها: جامع القصبة[3] ومكتبة أبي زكرياء الأول كانت كتبها لا تقل عن ستة وثلاثين ألف كتاب، وكان الكثير من الملوك والأمراء الحفصيين شعراء فحولا أصحاب دواوين أحاطوا أنفسهم بعدد كبير من الأدباء والعلماء، وكانوا يسنون لهم الجوائز ويقدمون لهم الهبات، كما أن لبعضهم مؤلفات نثرية وأدبية وعلمية ودينية[4].

انتهى عهد الحفصيين سنة 981هـ-1573م على يد الأتراك الذين غزوا بلادهم وأسروا آخر ملوكهم محمد بن الحسن وبوفاته انقرضت الدولة الحفصية[5].

[1] محمد العروسي، مرجع سابق، ص156.

[2] أحمد الطويلي، مرجع سابق، ص7.

[3] عبد الكريم غلاب، مرجع سابق، ص232.

[4] أحمد الطويلي، مرجع سابق، ص10.

[5] محمد العروسي، مرجع سابق، ص734.

الفصـل الثـانـي

ابن تافراجين وإسهاماته السياسية

(730-749هـ/1329-1349م)

المبحث الأول: التعريف بشخصية ابن تافراجين

المطلب الاول: اسمه ونسبه وأسرته

هو الشيخ أبو محمد عبد الله بن الشيخ بي العباس أحمد ابن تافراجين[1]، ينحدر من أسرة موحدية عريقة أصلها من تينملل[2]، حيث كان جده كبير بنو تافراجين عمر بن تافراجين ممن بايعوا المهدي ابن تومرت[3] وهو من آيت الخمسين[4].

ففي عهد أول خلفاء الموحدين عبد المؤمن بن علي (524-558هـ 1130/ 1163م) تم تعيينه واليا على فاس سنة 540هـ/1145م[5]، إلى أن تم فتح مراكش في شوال سنة (541هـ/1146م)[6] على يد الموحدين، حيث كان الخليفة يستخلفه عليها أيام مغيبه عنها. مما يدل على المكانة البارزة التي تمتع بها عمر ابن تافراجين لدى الموحدين، إلا أنه بحلول

---

[1] ابن القنفذ، مصدر سابق، ص 165.

[2] **تينملل (أو تينمال أو تنملل أو تنمل أو تانمللت):** حصن يقع بمنطقة جبل درن (أحد جبال أطلس) ببلاد السوس جنوب المغرب الأقصى وهو حصن منيع، ويذكر أن قبائل المصامدة كثيرة منها: هنتاتة، وتينملل، هرغة، برغواطة، وغمارة، حاحة...، وأهل تينملل من أتباع المهدي ابن تومرت وقد اتخذها مركزا لحصانته ومنه قامت دعوته وبها قبره. ينظر المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ط1، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1863هـ/1949م، ص ص 187، 340، 341. كمال السيد أبو مصطفى: دراسات في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس، د.ط، مركز الاسكندرية للكتاب، الإسكندرية، مصر، 1997م، ص ص 3، 4. هويكنز، النظم الاسلامية في المغرب في القرون الوسطى، تر: أمين توفيق الطيبي، د.ط، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1980م، ص ص 164،165. عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب، ج1، المطبعة الملكية، الرباط، 1388هـ، 1968م، ص ص 321،328.

[3] الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج2، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1448هـ-1997م، ص86.

[4] **آيت الخمسين:** يذكر أن ابن تومرت قد رتب أصحابه الذين بايعوه إلى مراتب، فالأولى يسمون آيت عشرة، يعني أهل عشرة وأولهم عبد المؤمن ثم ابو حفص الهنتاتي وغيرهما وهم أشرف أصحابه واهل الثقة عنده، والثانية هم آيت خمسين يعني أهل خمسين ويتكونون من خمسين عضوا وهم جماعة من رؤساء القبائل، والثالثة آيت سبعين يعني أهل سبعين وهم سبعين عضوا. ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج9، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ/2003م، ص200.

[5] كمال السيد ابو مصطفى، مرجع سابق، ص5.

[6] الزركشي، مصدر سابق، ص 20.

سنة (551هـ/1156-1157م) قتل على يد أبناء أومغار[1] إخوة المهدي ابن تومرت أثناء أدائه للصلاة مستغلين بذلك غياب الخليفة عبد المؤمن عن مراكش.

إثر مقتل كبير بنو تافراجين خلفه ابنه عبد الله بن عمر، والذي لم يقلَّ شأنا عن مكانة والده[2]، حيث كان من كبار الموحدين ومشيختهم ومن ذوي الرأي والمشورة في الدولة الموحدية، ومما يؤكد ذلك عندما أسند الخليفة يوسف ابن عبد المؤمن (558-580هـ/1163-1184م) ولاية قرطبة لأخيه السيد أبي إسحاق، أنزل معه للمشورة جماعة من شيوخ الموحدين على رأسهم عبد الله ابن عمر[3].

وقد برز ابنه عمر ابن عبد الله والذي حظي بولاية قابس[4] في عهد الخليفة الموحدي أبو يوسف يعقوب المنصور (580 م-595هـ/1184-1199م)[5].

وفي أواخر عهد الدولة الموحدية برزت عدة شخصيات من آل تافراجين على الساحة السياسية بشكل خاص، كان أبرزهم الشيخ عبد العزيز ابن تافراجين، والذي يعتبر من كبار شيوخ الدولة الموحدية[6]، ففي عهد الخليفة المأمون أبو العلاء إدريس ابن المنصور[7] (624-629هـ/1227-1232م) شارك شيوخ الموحدين بالحاضرة مراكش في نقض بيعة المأمون، وبايعوا ابن اخيه "يحي ابن الناصر[8]" الملقب بالمعتصم[9]، الأمر الذي أدى إلى غضب

---

[1] **أومغار**: تعني بالبربرية الشيخ. ينظر: محمد طهراوي، مرجع سابق، ص34.

[2] ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ص509.

[3] كمال السيد ابو مصطفى، مرجع سابق، ص5.

[4] روبار برنشفيك، مرجع سابق، ص186.

[5] كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص05.

[6] ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ص509.

[7] **أبو العلاء إدريس ابن المنصور**: ولد بمالقة سنة 581هـ/1185م، وأمه حرة هي صفية ابنة امير الشرق محمد ابن سعد ابن مردنيش وكان المأمون صنو ابيه المنصور في صفاته العلمية، فقد كان فقيها حافظا متمكنا من علوم الدين وأديبا وكاتبا بليغا...، حكم بين سنتي 624هـ-629هـ/ 1227-1232م. ينظر الى محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الاندلس، ج3، ق2، د.ط، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1411هـ/1990م، ص385.

[8] الزركشي، مرجع سابق، ص47.

[9] المراكشي، مصدر سابق، ص335.

الخليفة المأمون، فأرسل بعض من أعوانه لاغتيال عبد العزيز ابن تافراجين، وقد تم ذلك أثناء ذهابه لأداء صلاة الصبح. لكن الخليفة سرعان ما ندم لقتله شيخ الموحدين، الأمر الذي دفعه إلى إعادة مكانة بني تافراجين في السلطة، ورعاها المأمون في أخيه عبد الحق وبنيه أحمد ومحمد وعمر[1]، ولكن ذلك لم يدم لوقت طويل، إذ أنهم انتقلوا من المغرب الأقصى نحو بلاد إفريقية واستقروا بها بسبب القلاقل والحروب التي واجهتها الدولة الموحدية في أواخر عهدها والضعف الذي بدا جد واضح بين بني عبد المؤمن وازدياد نفوذ وقوة بنو مرين[2].

بدأت هجرة بني تافراجين إلى إفريقية في بداية عصر الدولة الحفصية، وكان أول من هاجر منهم إليها هو كبيرهم عبد الحق –سالف الذكر– الذي رحل إلى تونس حاضرة الحفصيين وأستقر بها[3] في عهد الخليفة الحفصي المستنصر[4] بالله ابن أبي زكرياء (647-675هـ/1249-1277م)[5] والذي استقبله بالحفاوة والترحيب نظرا لعراقة أصله وللخدمات الجليلة التي قدمتها عائلته للموحدين منذ عهد المهدي ابن تومرت[6].

وقد تولى الشيخ عبد الحق ابن تافراجين بأمر من الخليفة الحفصي قيادة بعض الحملات العسكرية بمنطقة الحامة لما وقع بها من حروب بين مشيختها وأصحاب النفوذ، وقد تمكن بفضل حنكته من قتل أهل الخلاف وحسم العلل[7].

---

[1] ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ص509.

[2] المراكشي، مرجع سابق، ص ص 335، 336.

[3] كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص8.

[4] روبار برنشفيك، مرجع سابق، ص187.

[5] **المستنصر بالله ابن أبي زكرياء:** هو أبو عبد الله محمد المستنصر بالله ابن الأمير ابي زكرياء ابن الملك ابي محمد ابن الشيخ المجاهد ابي حفص ولد سنة 625هـ/1228م، بويع على الخلافة الحفصية بعد وفاة والده وذلك يوم الثلاثاء لرجب سنة 647هـ/1249. ينظر: أمبرو سيو هويثي، التاريخ السياسي للامبراطورية الموحدية، تع: عبد الواحد أكمير، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 2004، ص455.

[6] كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص8.

7ابن خلدون: مصدر سابق، ص 509.

وفي عهد السلطان أبي إسحاق إبراهيم ابن الواثق ابن المستنصر الحفصي (678-681هـ/1279-1283م)[1] تولى عبد الحق ابن تافراجين[2] حكم بجاية[3]، وذلك بعد مقتل واليها أبي عبد الله ابن أبي هلال عام 679هـ/1280م[4]، فأضطلع بها[5] وأظهر حزما وكفاءة في إدارة شؤونها.

ولما تمكن أحمد ابن مرزوق ابن أبي عمارة الدَّعي[6] من الإستيلاء على الحكم في الدولة الحفصية[7] سنة (681هـ/1280م)

وأدعى انه الفضل ابن يحي الواثق[8] أستعان بخدمات شيخ الموحدين عبد الحق ابن تافراجين، لخبرته الإدارية والحربية الطويلة فعهد إليه قيادة جيش من الموحدين لتأديب العرب، وقد نجح في إثبات جدارته في القيام بتلك المهمة الصعبة، حيث اثخن في العرب،

---

[1] كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص9.

[2] **عبد الحق ابن تافراجين:** هو من كبار رجال دولة السلطان الواثق بن المستنصر الحفصي في بجاية، غير أن ابن الجبير رئيس دولة الواثق وكاتبه ولى أخاه إدريس بن عبد الملك على بجاية فأرادا التخلص من ابن أبي هلال وكبار الجند فيها وعندما علموا بذلك ثاروا ضده وقتلوه سنة 677هـ/1278م، وبايعوا الأمير أبا إسحاق إبراهيم ابن الواثق، وسرعان ما استولى على حكم الدولة سنة 678هـ/1279م، بعدما أستقر حكمه قام بالتخلص من ابن أبي هلال لزيادة نفوذه سنة 679هـ/1280م. ينظر: كمال السيد ابو مصطفى: مرجع سابق، ص9.

[3] ابن خلدون، مصدر سابق، ص 509.

[4] ابن القنفذ، مصدر سابق، ص139.

[5] ابن خلدون، مصدر سابق، ص 509.

[6] **أحمد ابن مرزوق ابن أبي عمارة الدعي:** ولد بالمسيلة ثم انتقل الى بجاية حيث اشتغل بالخياطة، ثم التحق بالصحراء في مناطق سجلماسة، وادعى هناك أنه الفاطمي المنتظر، وسرعان ما انتقل الى المناطق الجنوبية من إفريقية الى أن وصل الى طرابلس الغرب بمنطقة بني دباب، وأخذ يبث دعوته هناك. وصادف أن كان موجودا ببني دباب أحد عبيد يحي الواثق الحفصي المدعو "نصير" الذي قتله أبو إسحاق إبراهيم مع أبيه وأخويه الطاهر والطيب، ولكن نصير مولى الواثق الحفصي رأى في ابن أبي عمارة فأخذ يبكي ويقبل يديه، فأستغرب ابن أبي عمارة من نصير وسأله عن سبب فعله هذا فأخبره أنه اشتبه عليه في أمره، فأنتهز ابن أبي عمارة الفرصة، وادعى نسبه ليحي الواثق، ووعد نصير بأنه سيأخذ له بثأر مولاه، الذي قتل ظلما مع أبنائه، وهكذا تحول ابن أبي عمارة عن دعوته الأولى من أنه الامام الفاطمي المنتظر، وأعلن أنه الفضل ابن الواثق بشهادة العبد نصير. ينظر: محمد العروسي المطوي، مرجع سابق، ص ص 246-247.

[7] كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص9.

[8] ابن القنفد، مصدر سابق، ص 141

وقتل بعض زعمائها، وقبض على البعض الأخر من مثيري الشغب والفتنة، وأعاد ظافرا إلى الحاضرة تونس[1]، وقد ظل معروفا بالرئاسة والجاه إلى أن توفي.

إثر وفاة عبد الحق ابن تافراجين جاء بنو اخيه عبد العزيز وهم: أحمد ومحمد وعمر من المغرب فنزلوا بالحاضرة تونس خير منزل واستقروا بها [2]. وقد تمكن ابو العباس أحمد ابن تافراجين كبيرهم[3] فولاه السلطان أبو حفص عمر ابن أبي زكرياء الحفصي (683-694هـ/1284-1295م) على قفصه ثم المهدية، وظل واليا بالمهدية حتى ألتمس من السلطان الإستعفاء من الولاية، فأعفي. ورغم زهده في الإمارة كان السلطان أبو عصيدة[4] الذي خلف السلطان أبا حفص في سنة 694هـ/1294-1295[5] يستخلفه على الحاضرة تونس أثناء غيابه عنها[6]، وذلك تماشيا مع سياسة أسلافه نحو تلك الأسرة الموحدية، حيث كان بنو تافراجين موضع ثقة السلاطين الحفصيين ورعايتهم، وقد استمر الشيخ أبو العباس احمد ابن تافراجين على مكانته وحظوته حتى توفي في أواخر عهد السلطان أبو عصيدة [7] سنة (703هـ/1303-1304م)[8] تاركا ابنين احدهما أبو محمد عبد الله وهو الأكبر والأخر هو أبو العباس أحمد[9].

---

[1] كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص9.

[2] ابن خلدون، مصدر سابق، ص 509.

[3] روبار برنشفيك، مرجع سابق، ص187.

[4] **أبو عصيدة:** هو السلطان أبو عبد الله ابن عصيدة، في 22 من ذي الحجة سنة 694هـ /02 نوفمبر 1295، قام شيوخ الموحدين بمبايعته، وبعد ذلك بيومين، أي في 24 من ذي الحجة 694هـ/04 نوفمبر 1297م ارتقى الى العرش بشكل رسمي، وقد كانت أيام هدنة وعافية وسلم لا حرب، الى ان توفي في 10من ربيع الاخر 709هـ/ 27 سبتمبر 1308م وكانت مدة ولايته 14 عاما وثلاثة أشهر و16 يوما. ينظر: ابن الشماع، مصدر سابق، ص 83. ينظر: روبار برنشفيك، مرجع سابق، ص142.

[5] كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص 10.

[6] ابن خلدون، مصدر سابق، ص509.

[7] كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص 10.

[8] روبار برنشفيك، مرجع سابق، ص187.

[9] كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص 10.

المطلب الثاني: حياتـه

لا يعرف تحديدا مكان مولد عبدالله ابن تافراجين إذ أن جل المصادر التاريخية أغفلت بشكل عام حول حياته ونشأته ومولده بشكل خاص ولكن في إشارة من روبار برونشفيك والذي ذكر أنه في سنة في سنة 744هـ عندما إرتقى عبد الله بن تافراجين لمنصب الحجابة كان حينها قد تجاوز 40 سنة[1]، وهذا إذ دل على شئ فهو يدل على ان ميلاده كان اواخر القرن7هـ بداية القرن 8هـ أي في حدود (696-704 هـ/1296-1308 م).

وقد نشأ عبد الله ابن تافراجين واخوه أبو العباس نشأة طيبة في حجر الدولة الحفصية وحقق غايتها[2] وهو يعد من أبرز شخصيات اسرته خلال العصر الحفصي لما له من دور بارز في الحوادث السياسية في إفريقية خلال خلال القرن(8هـ/14 م)، وما تمتع به من نفوذ واسع وسلطات مطلقة مدة ما يزيد عن 20 سنة، حيث كان المدبر الحقيقي للأمور الدولة لعدة سنوات وأصبح في بعض الفترات السلطان غير المتوج للدولة الحفصية ولم يلبث عبدالله أن قام بتدعيم مكانته [3]من خلال زواجه بابنة شيخ الموحدين أبو يعقوب[4] بن يزدوتن[5] كما انه حضي بصداقة السلطان أبي ضربه محمد المنتصر بن اللحياني(717-718هـ/1317-1318م)[6] وأثره بصحبته إلى أن كانت وقعة مصوح [7]سنة 718هـ والتي هزم فيها، وتم خلالها القبض عليه وإعتقاله لفترة مع كثير من شيوخ الموحدين آنذاك وقد تقلد

---

[1]روباربرنشفيك، مرجع سابق، ص186

[2]ابن خلدون، مرجع سابق ذكره، ص 509- 510

[3]كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص 11

[4] **أبو يعقوب:** هو أبو يعقوب بن يزدوتن أحد شيوخ الموحدين في عهد السلطان أبا عصيدة وقد تولى رئاسة الموحدين وتدبير الدولة تونسية سنة 706هـ /1306-1307 م عندما عزم أبو يحي زكرياء للحياني الخروج كما تولى مشيخة الموحدين بيتونس في عهد السلطان أبي بكر عبد الرحمان الحفصي سنة 709 هـ 1309 م أنظر كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق ص10.

[5]روباربرنشفيك، مرجع سابق، ص187

[6]كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص 11

[7]ابن خلدون، مرجع سبق ذكره، ص 510

عبد الله ابن تافراجين العديد من المناصب السياسية طوال فترة نشاطه بالدولة الحفصية فكان سفيرا[1] ثم ترقى لمنصب الوزارة[2] إلى أن أصبح حاجبا[3] .

بالنسبة لنشاط ابن تافراجين السياسي سنتطرق إلى ذكره بشكل مفصل في هذا الفصل والذي يليه، وعلى الرغم من أن ميدانه عرف في الميدان السياسي الا انه كانت له اسهامات في مجالات أخرى نذكر منها:

قيامه بتشييد مدرسة عرفت باسمه[4] المدرسة التافراجينية[5]، والمتواجدة بقنطرة أين ساكن داخل باب السويقة[6] إلى السبيل الذي أقامه بتونس والمعروف بسبيل ابن تافراجين[7] وقيامه بحبس حمام على مدرسته وسبيله الذي يعرف بـ حمام ابن الحكيم، وقد خصص عائده لصيانته ودفع رواتب من يعمل بهما.

- الاهتمام بالعلم وتشجيع الطلاب عليه عن طريق الأوقاف العديدة التي أوقفها على مدرسته بتونس والتي كانت مقصدا للطلاب والعلماء[8]

-اهتمامه بتحصين مدينة المهدية وتجديد أسوارها وحصونها وشحنها بالأقوات والعتاد، إذ أنه كان يتخذها ملجأ وقت الشدة خاصة عندما تحدق به الأخطار[9].

المطلب الثالث: وفـاتــه:

---

[1]كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص ص11-12

[2]روبار برنشفيك، مرجع سابق، ص187

[3]ابن الشماع، مصدر سابق، ص584.

[4]كمال السيد أبو مصطفى، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوي الونشريس، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية 1996، ص 119.

[5]الرصاع، فهرست الرصاع، تح: محمد العنابي، المكتبة العنيفة، تونس، ص199.

[6]محمود مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تح: علي الزواوي ومحمد محفوظ، ج1، ط1، دار المغرب الإسلامي، لبنان، 1988، ص584.

[7]كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص 38.

[8]الونشريسي، المعيار، ج6، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الملكة المغربية، الرباط، 1401 هـ -1981، ص98.

[9]كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص ص 37-38.

توفي الشيخ عبد الله ابن تافراجين في ربيع الأول[1] من سنة 766هـ[2]/1364م[3] بتونس بسبب إصابته بمرض الطاعون[4] ودفن بمدرسته الكائنة بقنطرة أين ساكن داخل السويقة[5] وكان في حياته قد سار في أهل تونس بالرفق[6] .

وتعتبر وفاة ابن تافراجين من أهم الأحداث بإفريقية في تلك الفترة من حياة الدولة الحفصية، فقد كان هذا الرجل قوي الشخصية في الدولة وبوفاته تعرضت الدولة بعد ذلك إلى عدة هزات داخلية وخارجية وتهديدات كثيرة لاحتلال البلد بالإضافة إلى انقسامات داخلي، على الرغم من كثيرة المخاطر التي تعرض لها فقد استطاع التغلب عليها.[7]

المبحث الثاني: دور ابن تافراجين السياسي في عهد السلطان الحفصي أبى بكر بن يحي (730-747هـ/1329-1347م)

بدأ اسم عبدالله ابن تافراجين يلمع في عهد السلطان الحفصي أبي بكر ابن يحي (718-747هـ/ 1318-1346م)[8] وتدرج سريعا في مناصب هامة بالدولة الحفصية وازداد نفوذه، وتم إسناده العديد من المهام الخطيرة بعد الثقة التي اكتسبها من طرف السلطان الحفصي. ومن بين هذه المهام[9]:

المطلب الأول: الإنجازات السياسية لابن تافراجين (730-744هـ/1329-1344م)

تعددت إنجازات ابن تافراجين السياسية بالفترة القائمة بين (730-744هـ/1329-1344م)، وتنوعت وفقا للمناصب التي تقلدها بهاته الفترة.

---

[1] ابن الشماع، مصدر سابق، ص 105.

[2] الزركشي، مصدر سابق، ص 87.

[3] محمد العروسي المطوي، مرجع سابق، ص 467.

[4] ابن الشماع، مصدر سابق، ص 105.

[5] الزركشي، مصدر سابق، ص 87.

[6] محمود مقديش، مصدر سابق، ص584.

[7] محمد العروسي المطوي، مرجع سابق، ص467.

[8] الزركشي، مصدر سابق، ص137.

[9] كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص 12.

1-الاعتماد على ابن تافراجين في منصبي الوزارة والسفارة:

حيث ولاه السلطان الحفصي أبي بكر بن يحي منصب الوزارة بعد الشيخ أبي محمد ابن القاسم[1]، وفي سنة (730هـ/1329-1330م)[2]، قام السلطان الحفصي بإرساله رفقة ابنه الأمير أبي زكرياء إلى السلطان المريني[3] أبي سعيد[4] المريني[5] طالبا ليد العون ضد بني عبد الواد[6] «بني زيان»[7] الذين استولوا على تونس سنة 730هـ أواخر سنة 1329م[8]، ولما اجتمع السلطان المريني أبو سعيد والأمير أبي زكرياء قال له: «والله لقد أكبر قومنا قصدك وإني لموصلك، والله لأبذلن في مظاهرتكم مالي وقومي ونفسي ولأسيرن بعسكري إلى تلمسان[9]

---

[1] ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ص 510.

[2] كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص 12.

[3] ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ص 510.

[4] **أبي سعيد:** هو عثمان الثاني المريني حكم بين (710-731 هـ/1310-1331م) ينظر: المراكشي، مصدر سابق، ص140.

[5] الزركشي، مصدر سابق، ص 140.

[6] **بني عبد الواد:** أصلها عابد الواد، وهو الاسم الذي عرف به جدهم الأكبر، وبني عبد الواد، هم أحد فروع قبيلة زناتة البربرية، وهم من نسل ورسيج بن مادغيس الأبتر، وينقسم بنو عبد الواد الى عدة بطون: بنو ياكتين، بنو تومرت، بنو مصوحة، وبنو عبد القاسم...، وإلى هؤلاء ينتسب بنو زيان سلاطين الدولة الزيانية. ينظر: يحي ابن خلدون: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، د.ط، مطبعة بيير، بونطانا الشرقية، الجزائر، 1321هـ/1903م، ص95.= =ينظر: حسين تواتي، الوظائف السلطانية في الدولة الزيانية –الكتابة أنموذجا- (633-791هـ/1236-1389م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحضاري للمغرب الإسلامي، شعبة التاريخ، قسم التاريخ وعلوم الآثار، كلية العلوم الإنسانية، والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بالقايد، تلمسان، 2014/2013م، ص24.

[7] ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ص 510.

[8] كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص 12

[9] **تلمسان:** هي مدينة كبيرة بدأت تمتد اثر تخريب ارشكول، وهي عبارة عن مدينتين يفصل بينهما سور، لها نهر يأتيها من جبلها يسمى الصخرتين، وقد توسعت أيام بني عبد الواد وبلغت درجة عالية من الازدهار، خصوصا في عهد الملك ابي تاشفين. ينظر: حسن الوزان، مصدر سابق، ص17. ينظر أيضا، عامر أحمد عبد الله حسن، دولة بني مرين: تاريخها، وسياستها تجاه مملكة غرناطة الاندلسية والممالك النصرانية في اسبانيا (688-869هـ/1269-1465م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 1424هـ/2003م، ص46.

فأنزلها، لكن بشرط أن يكون أبوك معي». وقد تمكن السلطان الحفصي أبو بكر من استعادة تونس وإخراج منها الزيانيين بفضل مساندة السلطان المريني له[1].

وفي سنة (735هـ/1334م)، قام السلطان الحفصي أبي بكر بإرسال ابن تافراجين في سفارة ثانية للسلطان المريني أبي الحسن[2] لتجديد العهد بين الدولتين وتوثيقها من أجل التحالف ضد بني زيان.[3]

2-إسهام ابن تافراجين في توثيق العلاقة بين الحفصيين والمرينيين:

حيث ساهم ابن تافراجين في توطيد علاقة الدولتين وعقد التحالف بينهما عن طريق المصاهرة[4] وذلك بزواج الحرة فاطمة بنت السلطان الحفصي أبي بكر من الأمير المريني أبي الحسن ابن السلطان أبو سعيد سنة (731 هـ/1330م)[5].

3-مساعدة ابن تافراجين للأمير الحفصي أبي زكرياء:

إضافة الى إسهمات ابن تافراجين السابقة فقد قام أيضا بمساندة صاحب بجاية في توطيد دعائم حكمه بها سنة(740هـ/1340م)، ثم تم تعيينه شيخا للموحدين سنة (742هـ/1341-1342م)[6].

---

[1] الزركشي، مصدر سابق، ص ص 140-141.

[2] **أبي الحسن:** هو أبو الحسن علي عثمان المريني ولد سنة (697هـ/1297م)، حكم بين (731-752هـ/1331-1351م)، ينظر: الزركشي، مصدر سابق، ص140.

[3] نفسه، ص ص 149، 150.=

[4]= كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص 12.

[5] الزركشي، مصدر سابق، ص ص، 141.

[6] روبار برنشفيك، مرجع سابق، ص187.

المطلب الثاني: الإنجازات السياسية لابن تافراجين (744-747هـ/1343-1347م)

تعد سنة (744هـ/1343-1344م) نقطة تحول في تاريخ ابن تافراجين والبداية الرسمية لمشواره السياسي، الحافل بالعديد من الأحداث الهامة بالدولة الحفصية، فالمنصب الذي تقلده بالسنة السابق ذكرها خوله بأن يقوم بالعديد من الإنجازات والمهام السياسية والتي مكنته من تثبيت أقدامه وإثبات جدارته كرجل سياسي بالدولة، ومن بين هاته المهام:

1-تولي ابن تافراجين لخطة الحجابة:

حيث انتقل الشيخ عبد الله ابن تافراجين من رتبة الوزارة إلى رتبة الحجابة[1] وذلك في الفاتح من سنة (744هـ/1343م)[2] عقب وفاة الحاج أبو القاسم بن عبد العزيز الغساني[3]. وقد كانت رتبة الحجابة من أهم وأبرز المراتب بالدولة الحفصية آنذاك.[4]

2-مساهمة ابن تافراجين في التخلص من القائد ابن الحكيم[5]:

بعدما تولى ابن تافراجين الحجابة قرر الانفراد بشؤون الدولة وبسط نفوذه،[6] وذلك بمساعدة السلطان أبي بكر من التخلص من القائد ابن الحكيم. وقبل وفاة الحاجب أبو القاسم بن عبد العزيز الغساني قام بتحذير السلطان الحفصي أبي بكر من القائد ابن الحكيم وسوء دخلته وخطورته التي باتت جد واضحة على الدولة بالإضافة إلى تحريض الحاجب الجديد

---

[1] ابن القنفذ، مصدر سابق، ص165.

[2] ابن الشماع، مصدر سابق، ص90.

[3] **أبو القاسم بن عبد العزيز الغساني:** هو الحاجب أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عبد العزيز الغساني، أصل سلفه من الأندلس وهاجروا إلى مراكش، استقر أبوه بالحاضرة تونس، ونشأ أبو القاسم بها وتولى بعض المناصب الهامة بالدولة الحفصية، حيث تولى خطة الأشغال (وزارة المال)، ثم تقلد منصب الحجابة للسلطان أبي بكر. ينظر: كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص13.

[4] الزركشي، مصدر سابق، ص 63.

[5] **ابن الحكيم:** هو القائد أبو عبد الله محمد بن علي بن حمزة المعروف بابن الحكيم، نشأ في كنف الدولة الحفصية، وقد أوكل إليه السلطان أبي بكر التدبير في الحرب. ينظر: كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص ص 13-14.

[6] كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص 14.

ابن تافراجين للسلطان الحفصي، خاصة لما يحملانه من منافسة شديدة ضد بعضها البعض -ابن تافراجين والقائد ابن الحكيم- وقد نجح السلطان الحفصي بمشاركة حاجبه ابن تافراجين من القبض على القائد ابن الحكيم وايداعه السجن وقد بسط عليه أشد العذاب إلى أن لقي حتفه في نكبته والتي كانت بسنة (744هـ/1343-1344م)[1]

3-دور ابن تافراجين في توليه أخاه أبي العباس الوزارة:

بعد نكبة القائد ابن الحكيم أصبح ابن تافراجين يتمتع بسلطات واسعة،[2] مما مكنته إلى زيادة نفوذ أسرته، حيث كان له دور واضح في توليه أخيه أحمد أبي العباس ابن تافراجين الوزارة ثم تقليده قيادة الجيش سنة 744هـ[3].

وفي الفاتح من عام (747هـ/1347م) خرج الوزير أبو العباس بقيادة العساكر إلى هوارة[4] لجباية الضرائب[5]، فوفد عليه رجل يدعي سحيم[6]، وهو من أولاد القوس من عرب بني حكيم والخارجين عن الطاعة[7]، حيث قام رفقة اتباعه بقتل الوزير أحمد أبي العباس ابن تافراجين وذلك بأمر من حاجب الأمير أبي العباس المدعو ابن عتو وهو من مشيخة الموحدين والذي كان يكنُّ الحقد والحسد لبني تافراجين خاصة بعد الرفعة والمكانة المرموقة

[1] ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ص ص510 511.

[2] روبار برنشفيك، مرجع سابق، ص187.

[3] كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص 15.

[4] **هوارة:** هم من بطون البرانسة باتفاق من نسابة العرب والبربر، ولد هوار ابن اوريغ بن برنس الا ما يزعم بعضهم أنهم من عرب اليمن ولهوارة بطون كثيرة وأكثرهم بنو نبه واوريغ وبنو كهلان، وكانت مواطن الجمهور من هوارة في بداية الفتح بنواحي طرابلس وما يليها من برقة، ومنه من اتجه الى بلاد السودان تجاه افريقية. ينظر: ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ص ص183، 185.

[5] الزركشي، مرجع سابق، ص 161.

[6] ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ص 514.

[7] كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص 15.

التي تحصل عليها بنو تافراجين لدى السلطان الحفصي أبي بكر،[1] وقد تم حمل الوزير أبي العباس ابن تافراجين بعد مقتله إلى تونس ودفن بها [2].

4- دور ابن تافراجين في تأكيد التحالف بين الدولة الحفصية والمرينية:

ففي الثامن من شهر ذي الحجة سنة (746هـ/1346م) قدم وفد مريني إلى السلطان الحفصي أبي بكر وهم[3]: كاتب الجباية والعسكر أبو الفضل ابن محمد ابن أبي مدين، وفقيه الفتوى أبو عبد الله محمد ابن سليمان السطي ومولاه عنبر الخصى[4]، من أجل مصاهرة ثانية وذلك بعد وفاة زوجة السلطان أبي الحسن المريني "فاطمة بنت السلطان أبي بكر" في موقعة طريف[5] سنة (741هـ/1340م) والتي وقعت بين المرينيين والقشتاليين[6]، إلا أن السلطان الحفصي تردد في تلبية طلب الموافقة والقبول حول هذه المصاهرة[7]، ويرجح سبب هذا التردد الى عدة احتمالات، منها لتأثره بموت ابنته فاطمة، أو أنه شهد تسلل نوع من الضعف في الدولة المرينية وذلك لهزيمة المرينيين في موقعة طريف، أو أن ابنته كبر عليها أن تدخل على بيت أختها، وعلى كل حال فقد وافق السلطان الحفصي بالنهاية على تجديد المصاهرة[8]، وذلك بعد الحاح حاجبه ابن تافراجين الشديد عليه، والذي عظم له حق السلطان المريني ابي الحسن في رد خطبته، خاصة لما كان بينهما من مصاهرة سابقة وعهود قديمة

---

[1] ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ص 514.

[2] الزركشي، مصدر سابق، ص 161.

[3] نفسه، ص 160.

[4] الناصري، مصدر سابق، ص153.

[5] **طريف:** هي مدينة صغيرة تقع على البحر الشامي، ويتصل غربيها ببحر الظلمات (المحيط الأطلس) وبها أسواق وفنادق وحمامات، والمسافة بين طريف إلى الجزيرة الخضراء 18ميلا. وسميت بهذا الاسم نسبة لطريف مولى موسى= = ابن نصير الذي قام بفتحها. ينظر: الحميري، مصدر سابق، ص 392. ينظر: الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، مج1، د.ط، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 1422هـ/2002م، ص539.

[6] سالم أبو القاسم غومة، مرجع سابق، ص47.

[7] روبار برنشفيك، مرجع سابق، ص195.

[8] سالم أبو القاسم غومة، مرجع سابق، ص47

بين الدولتين، وقد نجح الحاجب ابن تافراجين بإقناع سلطانه حول هذه المصاهرة[1]. وفي شهر ربيع الأول من سنة (747هـ/1347م) كتب الصداق الحرة عزونة ابنت السلطان أبي بكر على السلطان المريني أبي الحسن، وتوجهت اليه رفقة شقيقها الأمير[2] أبي العباس الفضل صاحب بونة. ويذكر أن الحاجب ابن تافراجين أنه قد ساهم بشكل كبير في التحضير لهذا الزفاف وبالغ في الاحتفال والتأنق به[3] كون أن هذه المصاهرة هي بمثابة تأكيد حول التحالف بين الدولتين، المرينية والحفصية[4].

المبحث الثالث: دور بن تافراجين في تولية السلطان أبي حفص عمر الحكم (747-748هـ/1347-1348م)

أقر السلطان أبو بكر الحفصي أبناءه ولاة على مختلف عواصم السلطة الحفصية بقسميها الشرقي والغربي،[5] وجعل ولاية العهد لابنه أبي العباس أحمد صاحب قفصة، وتمت البيعة بحضور قاضي تونس[6] قاضي الأنكحة أبو عبد الله الآجمي[7] وقاضي الجماعة أبو عبد الله محمد بن عبد السلام،[8] كما بعث السلطان أبو بكر حاجبه أبا القاسم بن عتو إلى السلطان أبي الحسن وأصحبه كتاب العهد إلى السلطان أبي العباس أحمد ليوافق عليه،

---

[1] الناصري مصدر سابق، ص153.

[2] الزركشي، مصدر سابق، ص163.

[3] الناصري، مصدر سابق، ص153.

[4] كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص15.

[5] محمد العروسي المطوي، مرجع سابق، ص371.

[6] الناصري، مصدر سابق، ص 154.

[7] **أبو عبد الله الأجمي:** هو أبو عبد الله الاجمي التونسي أحد علماء وصلحاء وفضلاء تونس وقاضي الجماعة بها بعد ابن عبد السلام وأخذ عنه المقري وابن مرزوق الجد وابن عرفة، توفي عام 749هـ1348م، ينظر: محمد بن مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تح عبد المجيد خيالي، ج1، د-ط، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان 1971م، ص 301

[8] **أبوعبد الله محمد بن عبد السلام:** هو أبوعبد الله محمد المنستيري الهواري التونسي 656هـ-1258م749هـ1348م أستاذ ابن خلدون وابن عرفة من تأليفه "تنبيه الطالب لفهم ألفاظ الجامع الأمهات لابن حاجب" تولى الخطابة بجامع الزيتونة وثم تقلد قضاء الجماعة سنة 734هـ-1333م، ينظر: أحمد الطويلي، مرجع سابق، ص -ص 123 - 124.

فوافق عليه السلطان أبا الحسن وكتب على حاشيته بخطه وأحكم العقد في ذلك ولما توفي السلطان أبو بكر كان ولي العهد غائبا عن الحضرة،[1] ويذكر ابن خلدون وفاة السلطان أبي بكر بتونس فجأة في جوف الليل ليلة الأربعاء ثاني رجب من سنة 747هـ-19أكتوبر 1346م.[2]

المطلب الأول: بيعة السلطان أبي حفص عمر.

كانت ولاية السلطان أبي حفص عمر للحكم بفضل الحاجب بن تافراجين الذي تولى تحويل ولاية العهد من صاحبها الأول أبي العباس أحمد وجعلها للسلطان أبي حفص عمر الذي كان موجودا بالعاصمة[3] واستغل غياب أبي العباس أحمد عنها[4].

وما إن توفي السلطان أبو بكر حتى بادر الأمير أبو حفص عمر من داره إلى القصر فملكه وضبط أبوابه واستدعى الحاجب أبا محمد بن تافراجين ودعَوا المشيَخة من الموحدين والموالي وطبقات الجند،[5] ويذكر الزركشي ذلك بقوله: "وبعث الأمير أبو حفص عمر للقاضي ابن عبد السلام وقاضي الأنكحة الأجمي فقال لهما: تبايعاني، فقالا: نحن شهدنا في بيعة أخيك أحمد صاحب قفصة فأعطينا شهادتنا نقطعها، فحينئذ نشهد في بيعتك،[6] قال الشيخ ابن عرفة:[7] فخاض الناس بعضهم في بعض جلوس في القبة الكبرى فأمر الشيخ ابن تافراجين أن لا يخرج أحد منها وفسخ المجلس بقوله للقاضيين: نحن نمشي نشتغل بمؤونة دفن السلطان وحينئذ نجتمع، واستدعى وجهاء الموحدين وبعض وجهاء البلد وأخرج لهم

---

[1] الناصري، مصدر سابق، ص 154.

[2] ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ص517.

[3] محمد العروسي المطوي، مرجع سابق، ص 371.

[4] الناصري، مصدر سابق، ص 154.

[5] ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ص 517.

[6] الزركشي، مصدر سابق، ص 165.

[7] **ابن عرفة:** هو عبد الله بن محمد الورغي 716هـ1316م-803هـ 1400م إماما وخطيبا ومفتيا بجامع الزيتونة أكثر من نصف قرن تخرج على يديه أجيال من العلماء من تأليفه المختصر الفقهي والحدود في التعاريف الفقهية وتفسير للقران الكريم من أشهر فقهاء تونس في عصره ينظر: أحمد الطويلي، مرجع سابق، ص 124.

الأمير عمر فبايعوه، وما شعر القاضيان ومن معهما حتى سمعوا جلبة الطبول والبوقات والسلام: فقالوا ما هذا، فقيل: قد بايع الناس الأمير عمر واستدعى بالقاضيين ومن معهما فرأوا إتمام القضية لوقوع البيعة[1] وانعقادها من الجمع والغفير، فكتبت وثيقة بعقد البيعة للأمير عمر لاختيار العامة والخاصة إياه عن ولي العهد، وهذا من حسن سياسة بن تافراجين.

هكذا تولى السلطان أبو حفص عمر الحكم ولقب بالناصر لدين الله،[2] فقام أبو محمد بن تافراجين بخطة الحجابة كما كان في عهد السلطان أبي بكر الحفصي وزيادة التفويض والاستبداد،[3] وعليه فالدور الخطير الذي قام به الحاجب بن تافراجين في تولية أبي حفص عمر الحكم بدل من أبي العباس ولي العهد لم يكن يهدف من ورائه مصلحة الدولة أو الرعية بل كان من أجل أغراضه الشخصية وطموحاته في النفوذ والسلطة[4].

المطلب الثاني: مطالبة أبي العباس أحمد بحقه في الولاية وفرار ابن تافراجين.

لقد ذكرنا في السابق كيف جعل السلطان أبو بكر الحفصي ولاية العهد لابنه أبي العباس أحمد، وكذلك المؤامرة التي قام بها الحاجب بن تافراجين في جعل البيعة للأمير أبي حفص عمر، وببيعة هذا الأخير دخلت البلاد في حالة من الفوضى والاضطرابات.[5]

ما إن بلغ الأمير أبا العباس أحمد خبر موت والده وتولية أخيه ،حقد على أهل الحضرة وما جاؤوا به من نقض عهده،[6] واستعد لاسترداد حقه في السلطة الحفصية فدعا الأعراب لمظاهرته فأجابوه وهبوا جميعا إلى طاعته، وزحف بهم نحو الحاضرة تونس ولقي

[1] الزركشي، مصدر سابق، ص165.

[2] محمد العروسي المطوي، مرجع سابق، ص 372.

[3] ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ص518.

[4] كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص17.

[5] روبار برونشفيك، مرجع سابق، ص196.

[6] ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ص518.

أخوه أبو فارس عبد العزيز صاحب سوسة بالقيروان فأتاه وصار في جملته،[1] في الوقت الذي بدأ فيه السلطان يتنكر لحاجبه بن تافراجين بسبب وشايات منافسيه في الحاشية والذين يغرون صدره عليه[2] ويذكرون السلطان بالمنافسة القديمة بينه وبين ابن تافراجين عندما كان حاجبا خلال عهد السلطان أبي بكر، وقد أحس ابن تافراجين بذلك لذا أعمل الحيلة في الخلاص والهروب لحين تحسن الأحوال لمصلحته،[3] حيث انتهز وقت وصول الأمير أبي العباس أحمد بقوته قرب الحاضرة تونس، وقبل مواجهة الجيشان تعذر الحاجب بن تافراجين للسلطان بضرورة العودة إلى تونس في بعض الشغل،[4] وقيل أنه طلب من السلطان أن يرجع إلى الحضرة ليأخذ من المال ما يكمل به حركة ما بقي من الأجناد فأسعفه بذلك،[5] وعليه فقد جمع أمواله وذخائره وفر ليلا من قسنطينة فاتجه إلى المغرب الأقصى والتحق بالسلطان أبو الحسن المريني[6].

وفي تلك الأثناء علم السلطان أبو حفص عمر بفرار حاجبه فاضطرب واختل مسار جيشه وتحيز إلى باجة[7] تاركا الطريق مفتوحة إلى تونس العاصمة فدخلها أبو العباس احمد في التاسع رمضان سنة 747هـ-25ديسمبر1346م،[8] ونزل برأس الطابية وبادر بإطلاق سراح أخيه أبي البقاء خالد وتقبل البيعة من الناس وتلقب بالمعتمد على الله، ظل سبعة أيام

---

[1] محمد العروسي المطوي، مرجع سابق، ص373.

[2] ابن الشماع، مصدر سابق، ص92.

[3] ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ص517.

[4] كمال ابو السيد مصطفى، مرجع سابق، ص18

[5] ابن الشماع، مصدر سابق، ص92.

[6] ابن أبي دينار، كتاب المؤنس في أخبار إفريقة وتونس، ط-1، مطبعة الدولة التونسية، تونس1286هـ، ص136.

[7] **باجة:** مدينة عتيقة أسسها الرومان على منحدر جبل في الطريق الرئيسية المؤدية إلى قسطنطينية، على مسافة ثمانية فراسخ من البحر وثلاثة وأربعين فرسخا غرب تونس، ينظر: لمارمول كاربخال، إفريقيا، تر محمد حجي وآخرون، ج3، دار المعارف الرباط-المملكة المغربية، 1409هـ-1989م، ص96.

[8] ابن الشماع، مصدر سابق، ص92.

برأس الطابية[1] غير أنه فوجئ في اليوم الثامن من دخوله بعودة الأمير عمر الذي تمكن من السيطرة على العاصمة وقتل أخيه مع جملة من المقربين ونصب نفسه سلطان على البلاد[2].

المبحث الرابع: دور ابن تافراجين بالتدخل المريني

المطلب الأول: تحريضات ابن تافراجين للسلطان المريني

بعدما علم السلطان المريني بأمر استيلاء أبي حفص عمر على العرش، غضب لذلك[3] وأظهر الامتعاض لما قام به اتجاه أخيه أبي العباس -ولي العهد الشرعي- لأنه منعه من حقه أولا، ثم إراقة دمه ثانيا[4]، لاسيما أنه كما سبق وأن ذكرنا بأن السلطان أبي الحسن قد كان شاهدا على ولاية عهده لأبي العباس وهو بنفسه من قام بكتابة ذلك بخطه في السجل[5]، فاتخذ من هذه الواقعة ذريعة للاستيلاء على إفريقية خاصة وأنه قد كانت له أطماع في امتلاكها منذ عهد السلطان الحفصي أبي بكر، لولا مكانة صهره لديه الأمر الذي جعله يتريث إلى حين وفرة الفرصة السانحة له للإقدام على هذه الخطوة[6]، ومما شجعه على ذلك تحريضات الحاجب ابن تافراجين الذي لجأ إليه حديثا[7]، وأخذ يحثه ويغريه على ضرورة تملكه لإفريقية[8]، فعزم السلطان المريني على الحركة بإفريقية وتقوى بقدوم ابن تافراجين.

وفي صفر عام (648هـ/1348م) تحرك السلطان المريني رفقة جيشه نحو إفريقية[9] مصطحبا معه ابن تافراجين[10]، وفي طريقه تقاطر عليه المبايعون والمؤيدون من قادة القبائل

---

[1] الزركشي، مصدر سابق، ص 167.

[2] مزاحم علاوي الشاهري، الحضارة العربية الاسلامية في المغرب، د.ط. مركز الكتاب الأكاديمي، ص 43.

[3] كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص19.

[4] الناصري، مصدر سابق، ص 155.

[5] ابن الشماع، مصدر سابق، ص 94.

[6] الناصري، مصدر سابق، ص 155.

[7] ابن أبي دينار، مصدر سابق، ص138.

[8] الناصري، مصدر سابق، ص 155.

[9] الزركشي، مصدر سابق، ص 168.

[10] كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص21.

وولاة الدولة الحفصية، ففي وهران[1] جائه وفد مشترك يضم "ابن مكي"[2] صاحب قابس وابن يملول[3] صاحب توزر[4] وابن العابد[5] صاحب قفصة[6].

[1] **وهران:** هي مدينة كبيرة، بناها الأفارقة الاقدمون على شاطئ البحر المتوسط بعيدة عن تلمسان حوالي 140ميلا، وبها من البنايات والمؤسسات ما تتميز بها كل مدينة متحضرة من مساجد ومدارس وملاجئ وحمامات وفنادق محاطة= = بأسوار عالية، يقع جزء منها في السهل والجزء الاخر في جبل شديد الارتفاع، ومعظم سكانها من الصناع والحاكة. ينظر: حسن الوزان، مصدر سابق، ص50.

[2] **ابن مكي:** هو أحمد ابن مكي من شيوخ قابس وأميرها الذي استبد بحكمها عند ضعف وانقسام الدولة الحفصية، وينتسب بنو مكي الى جدهم مكي ابن فرج ابن زيادة الله ابن أبي الحسن ابن زيادة الله ابن الحسين اللواتي وهم من البربر، وكان بنو مكي هؤلاء من المقربين ابي زكرياء ابن عبد الواحد الحفصي مؤسس الدولة الحفصية، ولما عزم الأمير ابن زكرياء على الاستقلال بحكم إفريقية، دخل أبو القاسم عثمان ابن مكي في طاعته وأخذ له البيعة من أهل قابس. ينظر: كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص29.

[3] **يحي ابن أحمد ابن محمد ابن يملول:** ونسبه في طوالع العرب من تنوخ، ويذكر أنه استقروا بتوزر، قاعدة بلاد الجريد (جنوبي إفريقية) منذ الفتح الإسلامي عندما انقسمت الدولة الحفصية بين الثغور الغربية والحاضرة تونس وما إليها، استبد بنو يملول بحكم توزر الى أن تمكن السلطان أبو بكر الحفصي من إخضاعهم وإعادتهم إلى الطاعة. ينظر: كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص28.

[4] **توزر:** هي مدينة في أقصى إفريقية من نواحي الزاب الكبير من أعمال الجريد، بينها وبين نفطة 10 فراسخ. بها نخيل وبساتين كثيرة، وهي أكثر بلاد إفريقية تمرا، وعليها سور مبني بالحجر والطوب، ولها جامع محكم البناء وأسواق كثيرة، وحولها أرباض واسعة، وهي مدينة حصينة بها أربعة أبواب. ينظر: ياقوت الحموي مصدر سابق، مج2، ص ص57، 58.

[5] **ابن العابد:** هو يحي ابن محمد ابن علي ابن العباد الشريدي، كان أسلافه أصحاب قفصة ومن بيوتاتها المعروفة، ونسبهم في بلى، ولهم حلف في الشريد، من بطون بني سليم، وقد استغلوا ضعف الدولة الحفصية، واستقلوا بحكم نفسهم، الى أن أخضعهم السلطان أبي بكر سنة (735هـ/1334-1335م). ينظر: كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص28.

[6] **قفصة:** هي بلدة صغيرة في طرف افريقية من ناحية المغرب من عمل الزاب الكبير بالجريد بينها وبين القيروان 3 أيام، مختطة في أرض سبخة ولا تنبت إلا الأشنان والشيح، ويحتوي سورها على ينبوعين للماء، وهي أكثر بلاد إفريقية فستقا، والذي يحمل منها إلى جميع نواحي إفريقية وسجلماسة والأندلس، وبها الكثير من الخيرات كالزيتون والتين والعنب والتفاح والنخيل وبها تمور بحجم بيض النعام. ينظر: ياقوت الحموي، مصدر سابق، مج04، ص382.

كما قام أيضا كل من ابن أبي عنان صاحب الحامة وابن الخلف[1] صاحب نفطة[2] بمبايعته، وقد تخلف صاحب طرابلس وذلك لبعده فنابوا عنه في التأييد والمبايعة[3].

كما أقدم صاحب بجاية عبد الله محمد بن أبي زكرياء على طاعته، ولما وصل إلى قسنطينة خرج إليها أبناء الأمير أبي عبد الله ابن أبي بكر فبايعوه فأقبل عليهم وصرفهم إلى المغرب وأنزلهم بوجدة[4]، كما قام بصرف صاحب بجاية عبد الله محمد ابن أبي زكرياء[5] إلى ندرومة[6].

وقد وفد عليه بنو حمزة بن عمر ابن أبي الليل ومشائخ قومهم من قبيلة الكعوب وأخبروه أن أبا حفص عمر قد غادر تونس عندما سمع بتوجهه إليها[7]، فأرسل السلطان المريني جيشا بقيادة حمو ابن يحي فأدركوه بالحامة من جهات قابس فحاول أبى حفص عمر الهروب منهم إلا أنه سرعان ما وقع بين يدي القائد المريني، والذي قام بدوره بقتله وإرسال رأسه للسلطان المريني أبي الحسن[8]. فكان ذلك يوم الأربعاء 17 جمادي الأول من عام 748هـ/1347م، كما أرسل أيضا جيشا ثانيا بقيادة يحي بن سليمان زوج ابنته نحو

---

[1] **ابن الخلف:** نسبهم في غسان من طوالع العرب، انتقل جدهم من بعض قرى نفزاوة إلى نفطة، واستقر بها، وقد كانت امارة نفطة خلال عهد أبي بكر وبنيه، تحت حكم بني مدافع المعروفين ببني الخلف، وكانوا أربعة إخوة: مدافع وأبو بكر، وعبد الله ومحمد، وتمكنوا من الاستبداد برياستها زمن الشورى، في فترة انشغال الدولة الحفصية عنهم إلى أن تمكن السلطان أبو بكر من إخضاعهم والقضاء على معظم زعمائهم. ينظر: كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص28.=

[2] = **نفطة:** هي مدينة بإفريقية من أعمال الزاب الكبير، بين نفطة ومدينة توزر مرحلة وإلى مدينة نفزاوة مرحلة، وبينها وبين قفصة مرحلتان. ينظر: ياقوت الحموي، مصدر سابق، مج5، ص296.

[3] محمد العروسي المطوي، مرجع سابق، ص380.

[4] **وجدة:** مدينة ببلاد البربر بالمغرب، وهي من بناء الأفارقة، وتقع في سهل فسيح على بعد نحو 40 ميلا جنوب البحر المتوسط، وهي محاذية لصحراء انكاد. ينظر: سالم أبو القاسم غومة، مرجع سابق، ص52.

[5] الناصري، مصدر سابق، ص 155.

[6] **ندرومة:** مدينة بالجزائر تقع شمال غرب تلمسان، بينها وبين الساحل 8 كم. ينظر: سالم أبو القاسم غومة، مرجع سابق، ص54.

[7] محمد العروسي المطوي، مرجع سابق، ص380.

[8] ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ص 521.

تونس[1] فلم يجد هذا الجيش مقاومة تذكر بعد أن أحاطها برا وبحرا وفتحت له أبوابها[2]، فنزل السلطان المريني يوم الأربعاء 8 جمادي الثاني 748هـ/1347م وقد تلقاه شيوخ تونس وأعيانها ومنحوه طاعتهم[3].

دخل السلطان المريني مدينة تونس صحبة ابن تافراجين، ثم دخل معه غرف قصور بني حفص في القصبة فطاف بها غرفة غرفة، واطلع على ما في هذه المدينة من عجائب وآثار، ولم يطل المكوث بهذه المدينة حيث ارتحل عنها بعدما عين صهره وقائده يحي ابن سليمان حاكما عليها، ليقوم بجولة داخل البلاد، فزار القيروان[4] وسوسة[5] والمهدية[6] كأنه يريد بذلك الاطلاع على العواصم الإسلامية الأولى لإفريقية خاصة القيروان والمهدية، ولو أن المصادر التاريخية تحيط تلك الزيارة بهالة من التبرك بزيارة الأولياء الصالحين، وقد استمرت تلك الجولة إلى غاية رمضان من نفس السنة، ثم عاد إلى العاصمة وسرع في ترتيب شؤون سلطنته[7].

---

[1] الزركشي، مصدر سابق، ص 170.

[2] محمد العروسي المطوي، مرجع سابق، ص383.

[3] الناصري، مصدر سابق، ص 156.

[4] **القيروان:** هي مدينة عظيمة بإفريقية تقع في الإقليم الثالث، طولها 31 درجة، وعرضها 30 درجة و40 دقيقة وقد تم أمر بنائها سنة 55هـ، من طرف عقبة ابن نافع. ينظر: الياقوت الحموي، مصدر سابق، مج04، ص420.

[5] **سوسة:** هي مدينة صغيرة بنواحي إفريقية، بينها وبين صفاقس يومان، أكثر أهلها حاكة، ينسجون الثياب السوسية الرفيعة، وبين سوسة والمهدية ثلاثة أيام، ومن سوسة الى القيروان 36 ميلا. ينظر: ياقوت الحموي، مصدر سابق، مج05، 282.

[6] **المهدية:** تنتسب هذه المدينة إلى المهدي ابن تومرت، ففي سنة 300هـ خرج هذا الأخير الى تونس، ليرتاد موضعا لنفسه، يبني فيها مدينة ليحتمي بها وقد ظفر بموضع المهدية، وهي جزيرة متصلة بالبر، فأعجبته وأمر بتحصينها بالسور المحكم والأبواب الحديدية، وبعدما انتهى من تحصينها انتقل إليها سنة 308هـ، كما تعتبر المهدية عاصمة الخلافة الفاطمية بإفريقية. ينظر: ياقوت الحموي، مصدر سابق، مج05، ص ص 230، 231.

[7] محمد العروسي المطوي، مرجع سابق، ص384.

المطلب الثاني: موقف ابن تافراجين من السلطان المريني بعد استلائه على إفريقية:

عقب استقرار الأمور للسلطان المريني أبي الحسن المريني بإفريقية، وضع اضطلاعه بنفسه بتدبير شؤون الدولة [1]، فبعدما استولى على الحكم بتونس قام بتقليد ابن تافراجين منصب الوزارة، ولم يعطه من النفوذ والسطوة مثلما كان متعودا عليه في عهد السلطان أبي بكر[2]، فعقد كان يظن أن السلطان أبا الحسن سيكل إليه أمر إفريقية، وينصب معه أبا العباس الفضل صاحب بونة لما زعموه من أن السلطان المريني قد عاهده -أبا العباس الفضل- من ملك إفريقية[3]، ولكن ابن تافراجين خابت أماله عندما أبعد الفضل عن تولي السلطة وذلك بإبقائه أميرا على بونة فقط.

ولكل هذه الاعتبارات فإن ابن تافراجين لم يكن راضيا على الموضع الجديد، وأصبح يشعر بالكراهية تجاه السلطة الجديدة، وهكذا قبل الاستمرار في منصبه على مضض، وظل ينتظر الفرصة السانحة للانقضاض مثلما ينتظر ذلك الأمير الحفصي صاحب بونة[4].

من ناحية أخرى بدأ السلطان المريني سعيه في تنظيم شؤون البلاد وتحسين أحوالها، وسيادة الأمن في أرجائها، خاصة في ظل الأوضاع السيئة التي كانت عليها البلاد وذلك من استبداد بعض القبائل العربية على المدن الأفريقية[5]، حيث قام السلطان المريني باتخاذ إجراءات ضدهم وذلك عن طريق منعهم من الأمصار التي ملكوها بالإقطاعات وأمرهم بإلغاء الإتاوات التي كانوا يفرضونها[6] على الرعية، وحتى لا يثير سخط العرب عليه قام

[1] كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص21.

[2] محمد العروسي المطوي، مرجع سابق، ص388.

[3] ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ص 525.

[4] محمد العروسي المطوي، مرجع سابق، ص ص 388، 389.

[5] مزاحم علاوي الشاهري، مرجع سابق، ص ص 44، 45.

[6] ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ص 523.

بتعويضهم برواتب تصرف عليهم كحال الجنود ونزل عليهم بالأعطيات والتي تؤخذ لهم من ديوان السلطة[1].

لكن هذه الإجراءات لم ترضي العرب فبدأت الحالة تسوء بينهم وبين السلطان أبي الحسن المريني إلى أن وصل بهم الحال أن أغاروا على ضواحي مدينة تونس، واستولوا على دواب بني مرين بما فيها دواب ومواشي السلطان المريني، مما أثار حفيظته وازداد حقده عليهم، فخاف زعماء الأعراب من بطشه[2] وقاموا حينها بإرسال وفد أيام عيد الفطر يطلبون العفو منه والرضا عما بدر منهم ويتكون هذا الوفد من خالد ابن حمزة وأخوه أحمد من بني كعب[3]، وخليفة بني مسكين، وخليفة بن بوزيد من أولاد حكيم[4]، وقد قبل السلطان المريني اعتذارهم وأحسن في لقائهم.

وبالرغم من حسن الوفادة وكرم السلطان المريني الذي قابلهم به إلا أن زعماء الأعراب توجسوا منه ولم يطمئنوا إليه من قبول لعذرهم وتسامحه معهم[5] فقرروا البحث عن منافس، يتعهدون بمساندته ضد أبي الحسن المريني فاقترحوا لهذه المهمة المطالب السابق بالعرش الحفصي[6] وهو عبد الواحد ابن اللحياني[7]، وحاولوا استمالته واستعماله في خطتهم التي تهدف إلى إحداث انتفاضة ضد السلطان المريني، ويجدر بنا الإشارة إلى أن عبد الواحد ابن اللحياني قام بثورة ضد السلطان السابق أبي بكر[8] سنة 732(هـ/1331، 1332م)[9]،

---

[1] الناصري، مصدر سابق، ص 158.

[2] محمد العروسي المطوي، مرجع سابق، ص390.

[3] **بني كعب:** الكعوب هم بطن من عوف بن بهتة من سليم، مساكنهم ما بين قابس وبلد العناب من افريقية، مع قومهم بني عوف، ورئيسهم عند دخولهم افريقية رافع بن حماد ومن اعقابه بنو كعب امراء العرب بافريقية. ينظر: ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ص96.

[4] ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ص523.

[5] نفسه، ص390.

[6] روبار برنشفيك، مرجع سابق، ص 199.

[7] الزركشي، مصدر سابق، ص172.

[8] محمد العروسي المطوي، مرجع سبق، ص391.

[9] ابن خلدون، مصدر سابق، ص523.

استطاع احتلال تونس لفترة قصيرة، ثم فر عنها ولجأ إلى تلمسان وأثناء محاصرة الحسن المريني لتلمسان خرج إليه عبد الواحد ابن اللحياني وانظم إليه وأصبح من خاصته، وقدم معه إلى تونس[1]، ورغم الإغراءات التي قدمها زعماء الأعراب إليه في حكم إفريقية ومساندتهم اياه إلا أنه خشي على نفسه فسارع إلى السلطان المريني وأخبره عن هاته المؤامرة، مما أثار غضبه فأمر بإحضارهم -زعماء الأعراب- وقام حينها بتوخيهم وإيداعهم السجن سنة (748هـ/1347، 1348م)[2].

في هذه الأثناء قام الأعراب بتوحيد مختلف فروع قبائلهم استعدادا لهجوم السلطان المريني، والذي كان منشغلا هو الأخر بتنظيم حملة ضدهم، وقد أسفر الأعراب بالنهاية وأجمعوا على مبايعة[3] أحمد بن عثمان بن أبي دبوس[4] وهو من بني عبد المؤمن[5] ومن أعقاب الدولة الموحدية[6]، وقد كان هذا الأخير -أبو دبوس- يعمل خياطا بتوزر فجاء به الأعراب ونصبوه للأمر[7] تمكن السلطان أبو الحسن من إلحاق الهزيمة بالعرب وذلك بعد معركة دارت بينهما في الثنية[8]، إلا أنهم تمكنوا في المعركة الثانية من هزيمته بعدما تخلى عنه جنوده من بني عبد الواد ومغراوة[9] .

---

[1] محمد العروسي المطوي، مرجع سابق، ص391.

[2] الناصري، مصدر سابق، ص159.

[3] روبار برنشفيك، مرجع سابق، ص 199.

[4] **أبي دبوس:** هو حفيد أخر الملوك من بني عبد المؤمن بالمغرب، ولد بمصر سنة (722هـ/1322م) ثم عاد إلى المغرب. ينظر: مزاحم علاوي الشاهري، مرجع سابق، ص45.

[5] الزركشي، مصدر سابق، ص 173.

[6] كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص22.

[7] الزركشي، مرجع سابق، ص 173.

[8] **الثنية:** سهل واقع بين العاصمة والقيروان. ينظر: مزاحم علاوي الشاهري، مرجع سابق، ص45.

[9] **مغراوة:** تعد مغراوة من كبريات القبائل الزناتية، ونسبهم إلى مغراو بن يصليتن مثل بني يفزن، ولمغراوة فروع كثيرة أهمها: بنو سنجاس، بنو غيار...، وكان انتشارهم بين إفريقية والسوس. ينظر: محمد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص19.

بالاضافة الى توجين[1]، فاضطر إلى الانسحاب والإحتماء بمدينة القيروان في 8 محرم سنة (749 هـ/1348م)[2].

وهكذا أصبحت الظروف مواتية لابن تافراجين للانتقام من السلطان المريني واسترداد نفوذه حيث طلب العرب من أبي الحسن المحاصر في القيروان أن يبعث إليهم وزيره ابن تافراجين الذي يحظى بحب معظم العرب لإغداقه عليهم الأرزاق والأعطيات أثناء حجابته للحفصيين وذلك لمفاوضته في الصلح، ووافق السلطان المريني، وأرسل إليهم ابن تافراجين الذي سرعان ما اعلن الثورة ضد أبي الحسن المريني[3]، حيث قاموا بتنصيب ابن تافراجين حاجبا لسلطانهم ابن أبي دبوس، ثم زحفوا اتجاه العاصمة تونس وحاصروا قصبتها ورموا عليها المجانيق[4]، غير أنهم لم يتمكنوا من اقتحامها لحصانتها وقوة الحامية المرينية المدافعة عنها، في الوقت الذي كان فيه السلطان أبو الحسن المريني قد داخل بعض العرب المحاصرين له في فك الحصار عنه مقابل بعض الأموال[5].

سرعان ما وصلت الأخبار إلى ابن تافراجين بانفلات ابي الحسن المريني من الحصار وتوجهه إلى تونس، فارتاع لذلك من أن يدركه السلطان المريني دون أن يجد من يحميه منه فعزم على الفرار والنجاة بنفسه، وتسلل خفية على أصحابه ممتطيا سفينة في اتجاه

---

[1] **توجين:** هي احدى بطون بني بادين بن محمد من ولد زحيك بن واسين بن يسليتن بن مسر بن زاكية بن واردين بين وارسيك بن الديرت بن جانا بن زناتة، ويعدهم ابن خلدون في المرتبة الثالثة من زناتة بعد بني مرين وبني عبد الواد من حيث العدد والسلطان والملك. ينظر: بو رملة عربية، امارة بني توجين بالونشريس خلال القرنين (07-08هـ/13-14م) من خلال كتاب العبر لعبد الرحمن ابن خلدون، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران –السانيا، 1430-1431هـ/2009-2010م، ص11.

[2] مزاحم علاوي الشاهري، مرجع سابق، ص45.

[3] كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص، ص 22، 23.

[4] ابن أبي دينار، مصدر سابق، ص ص 138، 139.

[5] كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص23.

الإسكندرية[1] سنة 749هـ/1348م[2]. وأنتصب أبو الحسن من جديد في تونس التي زاد من تحصينها[3] وإحاطتها بالخنادق[4].

ويذكر أن السلطان المريني أبا الحسن بعث عقب عودته إلى تونس برساله إلى الناصر حسن سلطان مصر في 749هـ/1348م يلتمس منه فيها القبض على ابن تافراجين الذي نزل بالإسكندرية وأقام بها بعض الوقت، إلا أن مطلب السلطان أبا الحسن لم يحظى بالإستجابة في الوقت الذي اتجه فيه ابن تافراجين إلى مكة لأداء فريضة الحج[5].

[1] محمد العروسي المطوي، مرجع سابق، ص 398

[2] ابن خلدون، مصدر سابق، 526.

[3] روبار برنشفيك، مرجع سابق، ص 200

[4] محمد العروسي المطوي، مرجع سابق، ص 398

[5] كمال السيد أبو مصطفى مرجع سابق، ص24

الفصــل الثالث

إسهامات ابن تافراجين السياسية

(750 -766هـ/1349-1365م)

المبحث الأول: دور بن تافراجين في تولية السلطان أبي إسحاق بن إبراهيم الحكم.

شهدت إفريقية خلال فترة 749هـ- 1348م أحداث أدت إلى اضطراب الأوضاع بها حيث أن الأمير أبو العباس الفضل بن أبي بكر صاحب عنابة بدأ يسعى لاسترداد ملك أبيه وانضم إليه أمراء الولايات بها والكثير من العرب فبايعوه،[1] وكان في مقدمتهم أولاد أبي الليل كما أعلن أبو القاسم بن عتو المتولي على مناطق الجريد مناصرته وتأييده للفضل الحفصي، وتبعه في ذلك بنو مكّي المتولون على قابس وحاصرو المرينين بتونس دون جدوى[2] في الوقت الذي علم فيه السلطان أبو الحسن المريني باستيلاء ابنه أبي عنان فارس على الحكم في المغرب مما جعله يسارع بمغادرة تونس[3] متجها نحو المغرب الأقصى أوائل شوال سنة 750هـ-1349م[4] بعد أن عقد لابنه أبي الفضل على تونس ثقة بما بينه وبين عمر بن حمزة من المصاهرة وتفاديا بمكانه من معرة الغوغاء وثورتهم به[5] لكن لم تستتب له إذ ثار عليه أهل تونس وبايعوا الأمير الفضل الحفصي الذي حاصر تونس حصارا شديدا واضطر الأمير أبو الفضل المريني للاستسلام مقابل الأمان،[6] وبذلك استرد السلطان الفضل الحفصي عرش أبيه في 29 ذي القعدة 750هـ- 1349م وتلقب بالمتوكل على الله.[7]

[1] كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص 25.

[2] محمد العروسي المطوي، مرجع سابق، ص 406.

[3] كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص 25.

[4] ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ص529.

[5] الناصري، مصدر سابق، ص182.

[6] كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص 25.

[7] الزركشي، مصدر سابق، ص 185.

المطلب الأول: عودة بن تافراجين وعزل السلطان أبي الفضل.

قدم بن تافراجين بعد أداء فريضة الحج رفقة كبير أولاد أبي الليل عمر بن حمزة[1] وقد سبق وأن عرفنا الأدوار الكبيرة التي قام بها ابن تافراجين بعد وفاة السلطان أبي بكر حتى اضطر الى مغادرة إفريقية والتوجه إلى المشرق أثناء انهزام أبي دبوس واستعادة أبي الحسن المريني لمدينة تونس،[2] وأثناء موسم الحج التقى بن تافراجين بعمر بن حمزة آخر سنة 750هـ-1349م واتفقا معا على العودة إلى إفريقية، والتظاهر على أميرها[3] وعندما وصلا كان الخلاف على أشده بين زعماء أولاد أبي الليل خالد وقتيبة فتدخل عمر بن حمزة بينهما حتى تصالحا وأزالا ما بينهما من شحناء،[4] وتواطؤا جميعا على المكر بالسلطان أبي العباس الفضل وبعثوا إليه وليه قتيبة واتفقوا على أن يبعد أبي القاسم بن عتو وأن يقلد حجابته لأبي محمد بن تافراجين صاحب أبيه وكبير دولته،[5] غير أن السلطان الفضل رفض الاستجابة لهم مما دفعهم إلى الغدر به فأوهموه بميلهم إلى عقد الصلح خارج تونس،[6] فما أن خرج إليهم حتى قبضوا عليه وقادوه إلى مضاربهم وخيامهم،[7] ثم أذنوا لابن تافراجين بدخول تونس والاستيلاء عليها وذلك في 11 جمادى الأولى سنة 751هـ جويلية 1350م وهكذا تم عزل السلطان الفضل الحفصي[8].

[1] ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ص 530.

[2] محمد العروسي المطوي، مرجع سابق، ص414.

[3] الزركشي، مصدر سابق، ص186.

[4] محمد العروسي المطوي، مرجع سابق، ص414.

[5] ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ص30.

[6] كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص 26.

[7] محمد العروسي المطوي، مرجع سابق، ص415.

[8] الزركشي، مصدر سابق، ص 187.

المطلب الثاني: بيعة السلطان أبي إسحاق بن إبراهيم.

بعد عزل السلطان الفضل الحفصي، عمد بن تافراجين إلى الأمير أبي إسحاق بن إبراهيم بن أبي بكر[1] الذي كان مختفيا في دار من دور الحضرة بتونس،[2] فأخرجه بعد أن بذل من العهود لأمه والمواثيق ما يرضيها وجاء به إلى القصر وأقعده على كرسي الخلافة وبايع له النَاس خاصة وعامة وهو يومئذ غلام مناهز لم يتجاوز الثالثة عشر سنة[3]، فانعقدت له البيعة ودخل بنو كعب فأتوه طاعتهم[4] وهكذا تمت البيعة للسلطان أبي إسحاق بن إبراهيم، ثم أوتي له بأخيه الفضل يستوثقه فاعتقل وقتل ليلتها في ظروف غامضة[5]، يقول عنها ابن القنفذ :"الله أعلم بكيفيتها"[6]، بينما يقول ابن خلدون: "وغط من جوف الليل بمحبسه حتى فاض"[7]، وبذلك انتهت حياة الفضل بن أبي بكر بعد خمسة أشهر واثني عشر يوما من انتصابه على عرش السلطنة الحفصية،[8] أما حاجبه أبو القاسم بن عتو فقد حاول الفرار مختفيا في مجاهل المدينة إلا أنه اكتشف أمره بعد ليلة من اعتقال سلطانه المتوكل، ونال من التعذيب ما أودي بحياته هو الآخر[9]، وهكذا تولى السلطان أبي إسحاق بن إبراهيم الحكم سنة751هـ 1350م وتلقب بالمستنصر بالله، ونظرا لصغر سنه قام الحاجب بن تافراجين بتدبير دولة السلطان أبي إسحاق، وكان له في ذلك باع طويل واستبد بالحكم دون السلطان

---

[1] **أبو إسحاق بن إبراهيم بن السلطان أبي يحي أبي بكر:** ابن الامراء الراشدين، أمه أم ولد اسمها قرب الرضي ولد في ربيع الاول سنة 737هـ/1336 م وبويع في11 جمادى الاولى من سنة 751هـ/1350م توفى في رجب سنة770 هـ 1369م، ينظر: الزركشي، مصدر سابق، ص، ص.187،212

[2] ابن القنفذ، مصدر سابق، ص173.

[3] ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ص530.

[4] الزركشي، مصدر سابق، ص 187.

[5] محمد العروسي المطوي، مرجع سابق، ص – ص 414-415.

[6] ابن القنفذ، مصدر سابق، ص174.

[7] ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ص530.

[8] الزركشي، مصدر سابق، ص 187.

[9] محمد العروسي المطوي، مرجع سابق، ص 415.

انتهى أمره إلى أن يسلم عليه سلام الملوك[1]، وأصبح خلال تلك الفترة هو المتولي للشؤون الدولة الحفصية قرابة خمسة عشر عام من سنة751هـ 1350إلى وفاته 766هـ1365م وذلك بفضل حسن سيرته مع أهل تونس[2].

[1] كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص26.

[2] ابن القنفذ، مصدر سابق، ص174.

المبحث الثاني: دور ابن تافراجين في عهد السلطان أبي إسحاق

عقب تولي السلطان أبي إسحاق إبراهيم (المستنصر بالله الثاني) الحكم سنة 751هـ/1340م، قام الحاجب ابن تافراجين بتدبير شؤون الدولة الحفصية، فخلال هذه الفترة تحديدا (751-766هـ /1340-1365م) بسط نفوذه في كامل ربوع البلاد وأصبح السلطان غير المتوج، حيث أنه استبد بالحكم دون السلطان والذي كما سبق وأن ذكرنا بأنه كان صغير السن ولا يفقه من الأمر شيئا سوى اتكاله على من ساهم في وصوله إلى العرش الحفصي ألا وهو الحاجب ابن تافراجين. ومما ساعده على ذلك ميل أهل الحاضرة تونس بشكل خاص إليه، وذلك من خلال سيرته الحسنة بينهم وحرصه الدائم منذ بداية نشاطه السياسي على نشر الأمن والاستقرار في البلاد.

ويمكن أن نوضح أبرز ما واجهه الحاكم الحفصي رفقة حاجبه ابن تافرجين خلال الفترة السابق ذكرها على النحو التالي[1]:

المطلب الأول: سياسة ابن تافراجين اتجاه الأعراب والولايات الجنوبية:

1- سياسة ابن تافراجين اتجاه الأعراب:

تمكن الحاجب ابن تافراجين بفضل حنكته وبراعته من إقناع الأعراب بالدخول في طاعة السلطان الحفصي أبي إسحاق[2]، فالجدير بالذكر والإشارة إلى أن الأعراب طوال فترة الحكم الحفصي كانوا رافضين وغير منصاعين لحكامها[3]، إلا أن الحاجب ابن تافراجين نجح في إقناع عرب بنو كعب في أن يقدموا طاعتهم وولائهم للسلطان الحفصي[4]، ويذكر ابن الشماع بهذا الصدد أنه قد استخلص قواعد البلاد من أيدي العرب بأحسن محاولة، حيث

[1] كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق ص ص26، 27.

[2] روبار برنشفيك، مرجع سابق، ص 202.

[3] محمد العروسي المطوي، مرجع سابق، ص389.

[4] ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ص530.

وقف فيهم مخاطبا: «أنتم لابد لكم من وكيل ينوب عنكم في مجابي بلادكم فانظروا ما تبلغ حاجتكم فأنا أوفيها لكم» فوافقوه على ذلك بعد هذا الوعد واستخلص منهم جميع بلاد قرطاجنة[1] والقيروان وسوسة وباجة وتبرسق[2] والأريس[3] وجعلها بأيدي أعوانه[4].

2- حصول ابن تافراجين على البيعة من الولايات الجنوبية:

بعد ما قام ابن تافراجين بمبايعة السلطان الحفصي أبي إسحاق، عمد إلى مخاطبة العمال وأخذ البيعة منهم من شتى الجهات الجنوبية بإفريقية، فبعثوا بها. فاستقام ابن يملول صاحب توزر على الطاعة[5]، وبعث بالجباية والهدايا، ثم أتبعه صاحب نفطة وصاحب قفصة في تقديم الولاء[6]، إلا أن ابن مكي صاحب قابس وجربة[7] فقد أعلن التمرد والعصيان، وسخط على الحاجب ابن تافراجين لإستبداده بالسلطان ومنعه من التصرف في أمور دولته ولوجود منافسة قديمة بينهما منذ عهد السلطان أبي بكر الحفصي، ولذا كان ابن مكي ينتهز

[1] **قرطاجنة:** سميت هذه المدينة بقرطا، واضيف اليها جنة لطيبتها ونزهتها وحسنها، وهي بلاد قديمة من نواحي افريقية، وقد كانت مدينة عظيمة شامخة البناء أسوارها من الرخام الأبيض، بينها وبين تونس 12 يوما، وبينها وبين القيروان، مسيرة ثلاثة أيام، ويذكر أن الملك ابن مروان ولى حسان ابن النعمان الازدي افريقية ونزل آنذاك بالقيروان. ينظر: ياقوت الحموي، مصدر سابق، مج4، ص323.

[2] **تبرسق:** تقع في الصحراء الفاصلة بين المغربين الأدنى والأوسط، الى الجنوب الغربي من الحاضرة تونس. ينظر: كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص27.

[3] **الأريس:** تقع الأريس بالصحراء الجنوبية للمغرب الأوسط ويذكر الادريسي بأن المسافة بين الأريس وباجة مرحلتان، ومن الأريس الى القيروان ثلاث مراحل، وتحتوي هذه المدينة على العديد من الخيرات، كالفواكه والقمح والشعير، كما تتوسطها أعين ماء جارية لا تجف. ينظر: الادريسي، المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس، د.ط، مطبعة بريل، ليدن، 1863م، ص117.

[4] ابن الشماع، مصدر سابق، ص102.

[5] الزركشي مصدر سابق، ص 188.

[6] ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ص 530.

[7] **جربة:** هي جزيرة بخليج قابس، بينها وبين قابس مسافة قصيرة، وقد وصفها التجاني بأروع وصف. للاستزادة ينظر: للرحلة، ص103 وما يليها. ينظر: محمد بركات البيلي، مرجع سابق، ص05.

كل فرصة لإقصاء ابن تافراجين من الحجابة والقضاء على نفوذه في الدولة الحفصية غير أنه لم ينجح في تحقيق هدفه[1].

المطلب الثاني: مواجهة ابن تافراجين للمخاطر وحركات التمرد:

واجهت الدولة الحفصية خلال عهد السلطان أبي إسحاق الحفصي وحاجبه ابن تافراجين بعض من حركات التمرد، والتي كانت السبب الرئيسي في ظهور منافسين اثنين هددا بشكل مباشر استمرارية الحكم الحفصي بإفريقية. كانت أولى هذه المخاطر قسنطينة والتي هي تحت حكم أبي زيد عبد الرحمان، ثم من المغرب الأقصى عن طريق المرنيين[2] بقيادة أبي عنان والذي جدد مطامح والده في الاستيلاء على إفريقية[3].

1-سياسة ابن تافراجين نحو قسنطينة:

كانت قسنطينة خلال هذا العهد تحت حكم المولى أبو زيد عبد الرحمان ابن المولى أبي عبد الله محمد ابن السلطان أبي يحي أبي بكر[4] وهو ابن أخ السلطان الحفصي أبي إسحاق[5] الذي كان يطمع في بسط نفوذه على تونس[6]، ففي سنة 752هـ/1351م قام صاحب قسنطينة بتجهيز جيشا ضد تونس للاستيلاء عليها، فلما أحس بذلك ابن تافراجين قام بإرسال جيش للقائهم وذلك بقيادة فتيتة ابن حمزة وقد التقى الجيشان في هوارة، وبعد صراع دامي بين الجيشين انهزم جيش ابن تافراجين، لكن الجيش المنتصر لم يواصل زحفه إذ أنهم عادوا إلى قسنطينة[7].

[1] كمال السيد مصطفى، مرجع سابق، ص29.
[2] روبار برنشفيك، مرجع سابق، ص 205.
[3] محمد العروسي المطوي، مرجع سابق، ص419.
[4] الزركشي، مصدر سابق، ص 189.
[5] روبار برنشفيك، مرجع سابق، ص205.
[6] كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص29.
[7] الزركشي مصدر سابق، ص 189.

وفي سنة 753هـ/1352م[1] عاود أبو زيد الكرة مرة أخرى[2] ومما ساعده على ذلك هو تحريض ابن مكي له على غزو إفريقية واحتلال تونس، متعهدا له بالأموال، وعطايا الأعراب، تحزيب القبائل وتجميعها، وقد أستجاب الأمير أبو زيد لذلك. وبنفس السنة المذكورة قدم أحمد بن مكي إلى قسنطينة مع أولاد مهلهل فأستقبله صاحب قسنطينة وقلده منصب الحجابة، وأوكل إليه شؤون الإمارة، والاستعداد لغزو إفريقية، وبذلك يبدوا واضحا أن هذا الصراع بين الحفصية الشرقية وحفصية قسنطينة كان لا يدبر أمره المستنصر صاحب تونس ولا أبو زيد صاحب قسنطينة، وإنما صراع الحاجبين ابن مكي حاجب أبي زيد وابن تافراجين حاجب المستنصر[3].

وقد قام ابن تافراجين بتجهيز سلطانه المستنصر بالعساكر والألة وقد ترأس هذا الجيش أبا عبد الله محمد ابن نزار، وهو من طبقة الفقهاء ومشيخة الكتاب[4]. والتقى الجمعان في مرماجنة[5]، لكن سرعان ما أختل مصاف جيش المستنصر وفروا منهزمين إلى تونس، وتابع جيش قسنطينة زحفهم نحو تونس وحاصروها أياما، لكن المدينة امتنعت عليهم، فرحلوا إلى القيروان ثم إلى قفصة.

والجدير بالذكر أن احتمال تغلب صاحب قسنطينة على المستنصر الحفصي وحاجبه وابن تافراجين ما كان ليكون لولا أن أحداثا خارجية شغلت باله والمتمثلة في:

- ✓ **الأمر الأول:** قيام ابن تافراجين بفتح واجهة غربية تهدد قسنطينة بالاحتلال عندما تحالف مع صاحب بجاية وحرصه على مهاجمة قسنطينة، حتى يجعل أبا زيد عبد

---

[1] روبار برنشفيك، مرجع سابق، ص 205.

[2] كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص29.

[3] محمد العروسي المطوي، مرجع سابق، ص 418.

[4] ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ص ص 531، 532.

[5] **مرماجنة:** احدى مدن بلاد هوارة بصحراء المغرب الأوسط، على مقربة من الأريس، ويصفها صاحب كتاب الاستبصار بأنها مدينة كبيرة قديمة أزلية، فيها أثار كبيرة ولها عيون سائحة، وهي على نظر واسع كثير الزرع والخيرات. ينظر: كمال السيد أبو مصطفى، المرجع السابق، ص30. ينظر: مجهول، مصدر سابق، ص162.

الرحمان بين موقفين إما استمراره على محاربة الدولة الحفصية في تونس ولو أدى ذلك إلى سقوط عاصمته في يد صاحب بجاية، وإما أن يعود أدراجه إليها وينقذها من ذلك الاحتلال.

- ✓ **الأمر الثاني:** تواتر الخبر حول أطماع السلطان المريني أبي عنان في الاستيلاء على كافة أقطار المغرب الإسلامي، وأنه استولى فعلا على المغرب الأوسط فأحتل تلمسان وأزال دولة بني عبد الواد، وأنه يواصل زحفه نحو الشرق وأصبح غير بعيد عن قسنطينة[1].

2-ابن تافراجين والخطر المريني:

بعد أن خلع السلطان أبو عنان أباه أبا الحسن المريني وأستولي على حكم المغرب الأقصى سنة 752هـ/1351م، قرر مد سلطانه إلى المغربين الأوسط والأدنى. وبالفعل قد نجح أبو عنان المريني في الاستيلاء على تلمسان من أيدي بني زيان[2]، ثم واصل زحفه نحو قسنطينة وقام بإخضاعها سنة 758هـ/1357م[3]، عقب ذلك بعث السلطان المريني أبو عنان يطالب ابن تافراجين بالخضوع له والتنازل عن تونس[4]. ولكن الحاجب لم يستجب لرغبة أبي عنان، لأن ذلك يتنافى مع مطامحه منذ عهد أبي بكر الحفصي في أن يكون الآمر والناهي في شؤون الحكم بإفريقية، كما كانت تجربته الأولى مع أبي الحسن المريني، ومن ناحية أخرى كان لابن تافراجين صلة بفساد العلاقات بينه وبين السلطان المريني هي أن أبا عنان أراد أن يسلك مسلك أبيه في التقرب من البلاط الحفصي عن طريق المصاهرة، وبما أن ابن تافراجين هو الذي كان سببا في إتمام المصاهرة بين السلطان الحفصي أبى بكر والسلطان المريني أبو الحسن سابقا، فقد أراد أبو عنان هو أيضا أن يتزوج إحدى بنات السلطان

[1] محمد العروسي المطوي، مرجع سابق، ص 419.

[2] كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص31.

[3] ابن القنفذ، مصدر سابق، ص 174.

[4] كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص31.

الحفصي أبي بكر[1]، حيث بعث حينها، برسم خطبة رفقة الفقيه[2] الخطيب ابن مرزوق[3] ولكن ابن تافراجين لم يقم بدور الوسيط هذه المرة ولم تتم المصاهرة [4].

على إثر هذا الرفض قام السلطان المريني بإرسال أسطول بحري للاستيلاء على تونس بقيادة محمد ابن يوسف المعروف بالأبكم من بني الأحمر وهو من ملوك الأندلس، إضافة إلى ذلك أرسل جيشا بقيادة بريا بقيادة يحي ابن رحو ويضم معهم أولاد مهلهل الذين سبقوا أن حرضوه على الغزو[5].

عندما وصلت أنباء لتونس تفيد بأن السلطان المريني يتجهز لغزو إفريقية، بقي الحاجب ابن تافراجين في تونس وجهز جيشا لسلطانه المستنصر مع أولاد أبي الليل ومن انظم إليهم من الأعراب لملاقاة الجيوش البرية القادمة من قسنطينة، وكان الأسطول المريني أسبق وصولا إلى تونس فضرب عليها الحصار واستطاع الاستيلاء عليها[6]. في رمضان سنة 758هـ/1356م وذلك بعد قتال دام ليوم أو بعض يوم[7]. بعد هذه الهزيمة خرج الحاجب ابن

---

[1] محمد العروسي المطوي، مرجع سابق، ص ص428 429.

[2] الزركشي، مصدر سابق، ص 198.

[3] **الخطيب ابن مرزوق:** هو محمد ابن احمد ابن محمد ابن محمد ابن ابي بكر ابن مرزوق التلمساني، شمس الدين أبو عبد الله، ولد أواخر سنة 710هـ/1310م بتلمسان، اشتهر باسم الخطيب، وقد ارتحل مع والده الى المشرق، سنة 718هـ/1318م، ثم رجع الى المغرب سنة 733هـ/1332م، ويعد ابن المرزوق اكثر افراد اسرته اشتغالا بالسياسة، حيث تقلد مناصب سياسية ودينية، خاصة في دولة بني مرين، حيث كان من المقربين من السلطان المريني ابي الحسن، وولاه خطابة المسجد بالعباد، ثم استعمله سفيرا الى الاندلس سنة 752هـ /1351م، وتولى الخطابة بجامع الحمراء في غرناطة سنة 753هـ/1352، وقد ذهب الى تونس سنة 764هـ/1362م، وكان مقربا من البلاط الحفصي، وعين خطيبا ومدرسا في جامع الحفصيين، كما أنه ذهب الى القاهرة وتم تعيينه هناك قاضيا وخطيبا ومدرسا ومكث فيها بقية حياته، توفي بالقاهرة سنة 781هـ/ 1379م. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثانية، ج3، ص360. ينظر: ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، د.ط، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1326هـ/1908م ص ص 184-190.

[4] محمد العروسي المطوي، مرجع سابق، ص 429.

[5] ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ص ص 539.

[6] محمد العروسي المطوي، مرجع سابق، ص 429.

[7] الزركشي، مصدر سابق، ص 198.

تافراجين رفقة سلطانه وحاشيتهم[1] نحو المهدية وبذلك تمت البيعة للسلطان المريني بحكم إفريقية ما عدا المهدية وسوسة وتوزر[2].

في الوقت الذي عزم به السلطان المريني أبو عنان التوجه الى تونس حدث تمرد في جيشه واسرع جنده بالانسحاب والعودة إلى المغرب الأقصى، ولم يلبث أن لحق بهم أبو عنان، مما أدى إلى حدوث اضطراب في صفوف المرينيين بتونس، وساعد على ذلك أيضا ثورة الأهالي ضدهم مما جعلهم يسارعون بمغادرة الحاضرة تونس في سفنهم متجهين إلى المغرب الأقصى[3]، فأستغل ابن تافراجين هذا الوضع وقام بالهجوم على تونس وطرد الحامية المرينية التي تركها أبي عنان قبل مغادرته، وتمكن الحاجب ابن تافراجين بإعادة السيطرة على الدولة الحفصية[4]، وقام بتجديد البيعة للسلطان أبي إسحاق والذي دخل الحاضرة تونس في ذي الحجة من سنة 758هـ/1357م[5].

3-إنتفاضة أمير المهدية على الحاجب ابن تافراجين:

إضافة للمخاطر التي واجهت ابن تافراجين بالدولة الحفصية خلال عهد السلطان الحفصي أبي إسحاق والتي قام بالتخلص منها كما سبق وأن ذكرنا، إلا أنه لم يتخلص من سوء الأوضاع الداخلية بالدولة وانشقاق المسؤولين فيها عن بعضهم[6].

فبعدما لجأ ابن تافراجين إلى المهدية[7]، قام بتحصينها وتزويدها بالأقوات والأسلحة[8]، وقد أخذ ابن تافراجين يعد أبا يحي زكرياء (أخ السلطان أبو إسحاق) ويدربه على ممارسة

---

[1] ابن القنفذ، مصدر سابق، 174.

[2] ابن أبي دينار، مصدر سابق، ص 141.

[3] كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص32.

[4] سالم أبو القاسم غومة، مرجع سابق، ص49.

[5] كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص33.

[6] محمد العروسي المطوي، مرجع سابق، ص 436.

[7] روبار برنشفيك، مرجع سابق، ص 208.

[8] ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ص 541.

السلطنة، فعقد له على المهدية[1]، وقام بتعيين أحمد بن خلف حاجبا له، إلا أن أبا زكرياء ضجر من استبداده عليه فقتله، وبعث لأحمد ابن مكي صاحب جربة وقابس وعينه حاجبا له[2]، وقد قام أمير المهدية باختيار حاجبه أحمد ابن مكي نكاية في ابن تافراجين[3]، إذ يعتبر هذا الحاجب من ألد خصوم الحاجب ابن تافراجين[4].

وقد سارع الأمير أبو يحي زكرياء باستنجاد السلطان المريني أبي عنان وبعث له ومن معه بيعتهم إليه واستحثوه للدخول تحت طاعته وحمايته[5]، إلا أن ظروف السلطان المريني لم تكن مواتية لتأييد إيجابيا حول هذه الانتفاضة، إضافة إلى موته في 28 ذي الحجة سنة (759هـ/1357-1358م) عن عمر الثلاثين سنة[6]، إلا أنه قبل وفاته لم يمنع من اهتمامه بشأن المهدية فبعث إليها بنجدة عسكرية حيث قام بتجهيز أسطول لذلك، إلا أن وصوله كان بعد فوات الأوان، ذلك أن ابن تافراجين لم يقف مكتوف الأيدي أمام انتفاضة المهدية فبعث إليها بجيش يقوده ابن الدكداك، ففر أبو يحي زكرياء إلى قابس عاصمة حاجبه أحمد بن مكي، وحاول هذان المتحالفان الهجوم على تونس، فباء الهجوم بالفشل وعاد أحمد ابن مكي إلى قابس وذهب أبو يحي[7] إلى الذواودة.[8]

---

[1] محمد العروسي المطوي، مرجع سابق، ص 436.

[2] الزركشي، مصدر سابق، ص 201.

[3] محمد العروسي المطوي، مرجع سابق، ص 436.

[4] كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص29.

[5] ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ص 541.

[6] الناصري، مصدر سابق، ص205.

[7] محمد العروسي المطوي، مرجع سابق ص437.

[8] **الذواودة:** وهي قبيلة عريقة تنحدر من قبيلة رياح، وهي من القبائل الكبيرة التي دخلت بلاد المغرب مع بني هلال، وكانت تسيطر على منطقة واسعة من الصحراء، وقد ارتبطت قبيلة الذواودة منذ بدايتها بالحفصيين حيث احتفظت= =بنفوذ كبيرة في الصحراء. ينظر: لخضر بن بوزيد، السياسة الاستعمارية تجاه القبائل والعائلات المتنفذة في منطقة الزيبان (1830-1844م)، المجلة التاريخية الجزائرية، ع5، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ديسمبر 2017، ص ص 94، 95.

المطلب الثالث: إسترجاع ابن تافراجين لبجاية وجزيرة جربة.

1- إسترجاع ابن تافراجين لبجاية:

كانت بجاية من الإمارات المهمة في الجزء الغربي من الدولة الحفصية، فهي الثغر الغربي لتلك الدولة خلال عصر الازدهار والقوة، لكنها خضعت في تلك الفترة للمرينيين، الذين اسندوا حكمها لأحد عمالهم[1] وهو يحي ابن ميمون والذي بسط سطوته وتعسفه على أهل بجاية فنقموا عليه ومن سوء حكمه[2]، الأمر الذي دفع بهم إلى مراسلة ابن تافراجين وأخذوا يحثونه على استعادة بجاية تحت الحكم الحفصي وذلك بعد أن وعدوه بالمساندة والتأييد، فبعث إليهم بسلطانه أبي إسحاق إبراهيم مجهزا بما يحتاجه من عتاد وسلاح[3]، وقد انضم إليه أيضا خلال وجهته يعقوب ابن علي مساندا إياه فيما هو مقبل عليه[4]، وتوجهوا جميعا نحو بجاية في شوال 761هـ/1360م[5]. ومما سهل عليه -أبي إسحاق- احتلالها والاستيلاء عليها هي مساعدة أهالي بجاية له والذين ثاروا ضد العامل المريني يحي ابن ميمون، فقبض عليه وعلى من كان من قومه[6]، وتم إرساله إلى تونس بحرا[7]، وأودعهم ابن تافراجين السجن إلى أن منَّ عليهم من بعد ذلك وأطلقهم إلى المغرب[8]. وقد أقام السلطان أبو إسحاق ببجاية 5 سنوات وكان الحاجب ابن تافراجين حينها يمده بكل ما يحتاجه من تونس[9]، وعين على حجابته أثنائها أحد مشيخته الموحدين والمدعو بأبي محمد عبد الواحد

[1] كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص33.
[2] ابن خلدون، العبر، مصدر سابق ص 542.
[3] محمد العروسي المطوي، مرجع سابق، ص438
[4] ابن خلدون، مصدر سابق، ص 542.
[5] ابن أبي دينار، مصدر سابق، ص 141.
[6] محمد العروسي المطوي، مرجع سابق، ص438.
[7] ابن القنفذ، مصدر سابق، 175.
[8] ابن خلدون، العبر، مرجع سابق، ص 542.
[9] ابن القنفذ، مصدر سابق، 175.

بن محمد بن أكمازير[1]. ثم عاد إلى حاضرته تونس وذلك سنة 765هـ/1365م بعد ما دخلها عليه صلحا الأمير أبو عبد الله محمد بن أبي زكرياء بن أبي بكر الحفصي[2] (ابن أخيه)[3].

2- إسترجاع ابن تافراجين جزيرة جربة:

كانت جزيرة جربة خاضعة لنفوذ أحمد ابن مكي (قابس وطرابلس) وضلت هكذا حتى سنة 763هـ/1362م، حيث نقم أهلها على ابن مكي، وبعثوا إلى ابن تافراجين سرا بتونس، الذي انتهزها فرصة للانتقام من عدوه ابن مكي[4]، حيث قام الحاجب ابن تافراجين بإرسال ابنه ابي محمد ابن تافراجين رفقة جيشه في سنة 763(هـ/1362م)، وكان أحمد ابن مكي غائبا آنذاك بطرابلس، فنهض الأسطول في البحر ونزلوا بالجزيرة وضايقوا القشتيل بالحصار إلى أن غلبوا عليه وملكوه، وأقاموا به دعوة صاحب الحضرة تونس[5]. وقد قام الحاجب ابن تافراجين بتعيين كاتبه محمد ابن أبي القاسم بن أبي العيون عاملا على جزيرة جربة، ثم انكفأ الحاجب عائدا إلى تونس[6].

[1] ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ص 542.

[2] كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص34.

[3] روبار برنشفيك، مرجع سابق ذكره، ص 211.

[4] كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق ص34.

[5] ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ص 544.

[6] الزركشي، مصدر سابق، ص 207.

المبحث الثالث: علاقات ابن تافراجين الخارجية «الدبلوماسية»

أثناء حجابة ابن تافراجين للسلطان أبي إسحاق الحفصي والتي أسماها معاصروه ببناية الملك[1]، قام من جديد بربط العديد من العلاقات الخارجية مع كل من جمهورية البيزة[2]، مملكة آرغوان ومملكة بني الأحمر في غرناطة.

المطلب الأول: علاقته مع جمهورية البيزة.

شهدت العلاقات الحفصية مع جمهورية بيزة في ضل عهد السلطان أبي إسحاق صلات وثيقة، حيث أبرم الحاجب ابن تافراجين باسم السلطان ابي اسحاق الحفصي معاهدة صلح وسلام مع نير برجلين (Néri porcellion) سفير جمهورية بيزة وذلك في11 ربيع الأخر سنة 764 هـ الموافق لـ17 ماي 1353 م ومما نصت عليه هذه المعاهدة:

- أن يكون جميع من يصل من التجار البيزيين وأتباعهم إلى الحاضرة تونس وإلى جميع بلادها الداخلة تحت طاعتها أمنين في أنفسهم وأموالهم وألا يصل إلى بلادهم الساحلية ولا إلى جزرهم جفن حربي لضرر من الحاضرة تونس مدة هذا الصلح.
- أن يكون للتجار البيزيين في كل بلد من البلاد الأفريقية الساحلية المفروضة بنزولهم فيها للتجارة، فندق يختصون به لتجارتهم ولا يشاركهم في سكناه غيرهم، ويمكنوا في كل فندق من الكنيسة التي فيه ومن مدفن لموتاهم ومن فرن يختصون به وأن لهم دخول حمام يختصون به يوما في الجمعة
- أن يأخذ منهم العشر قيما يبعونه من السلع
- أن يحكم قناصلهم مما ينشب بينهم من منازعات.

[1] روبار برنشفيك، مرجع سابق، ص212.

[2] **البيزة:** هي بلدة على الركن الشمالي من جزيرة الاندلس إليها ينسب الفرنج البيازنة والحديد البيزاني ينظر: القلقشندي، كتاب صبح الاعشى،ج3، د.ط، دار الكتب الخديوية القاهرة، 1332هـ/1914 م، ص 238.

– ألا يضروا بأحد من أهل البلاد الإفريقية أو من أعمالها، وإذا حدث ضرر بأحد منهم فعلى حاكمهم وقناصلهم الإنصاف من ذلك والقبض على الجاني. [1]

وقد كانت هذه المعاهدة تستعيد وتوضح بعض المسائل فحسب، لاسيما المتعلقة منها بالعمليات والرسوم الجمركية[2] وعليه فقد احتوت على ضمانات كفلت للبيزيين كحماية الأشخاص والممتلكات وضمان الأمن المتبادل للملاحة وحرية تصريف النشاط التجاري دون إعاقة وتحديد مبادئ تعاطي التجارة كما، احتوت على مبادئ متحررة ومتساهلة ومشجعة وبذلك كفلت تلك المعاهدة شروطا أساسية لراحة كلا الطرفين كاستخلاص أداء العشر باعتباره ضريبة أساسية على البضائع والبيع وبذلك مارس البيزيون نشاطهم التجاري ووثقوا أولويتهم التجارية مع الدولة الحفصية كما منحت المعاهدة للتجار البيزيين الإذن بالحصول على فندق خاص وكذلك إدانة القرصنة والالتزام المتبادل بملاحقتها وقمعها بالقوة وقد ضلت العلاقات طيبة بين الطرفين، وبعودة السلطان أبي إسحاق إلى عرشه بعد طرد بني مرين أرسلت له جمهورية بيزة خطابا[3] عام 1364 عبرت لهم عن مشاعرهم الطيبة اتجاهه ووقوفهم عند أوامر السلطان ونواهيه، فرد عليهم السلطان برسالة طمأنهم فيها عن أحوال البيزيين في تونس وأوضح لهم أن الحكومة الحفصية جادة في رعايتهم وحمايتهم وتمشية أحوالهم على العدل والكرامة [4]

[1] كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص39

[2] روبار برنشفيك، مرجع سابق، ص212

[3] مريم محمد عبد الله جبوده، التجارة في بلاد إفريقية وطرابلس الغرب خلال العهدي الموحدي والحفصي، 1160–1572 م، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتورا في الأداب من قسم التاريخ شعبة التاريخ الإسلامي، كلية الأداب، جامعة الزقازيق، 2008، ص، ص 134 –139

[4] مريم محمد عبد الله جبوده، المرجع السابق، ص 140.

المطلب الثاني: علاقته مع مملكة آرغوان (Argon)

توطدت العلاقات بين دولة بني حفص ومملكة الأرغوان[1] بعد فشل الغزوة المرينية نهائيا حيث أبرم الحاجب ابن تافراجين باسم السلطان ابي إسحاق معاهدة صلح وسلام مع الفارس فرنسيس سكوسطة.

(francec sacosta) سفير بدور الرابع ملك أرجوان لمدة عشر سنوات وذلك في 25 صفر 761هـ الموافق لـ 15 جانفي 1360م وتضمنت تلك المعاهدة بنود عامة شبيهة بأحكام المعاهدات المبرمة بين تونس وآراغوان في أول القرن[2] ومن نصوصها المهمة.

أن يكون الصلح شاملا لبلاد الحاضرة تونس أو البلاد التابعة لها بحرا وبرا وأن كل مسلم يسافر من الحاضرة تونس أو من البلاد التابعة الخروج من بلاده إلى بلاد الحاضرة تونس بسبب القطع في جفن من الأجفان، كما منحت تلك المعاهدة للأرغوانيين حق مهاجمة السفن القشتالية في سواحل إفريقية وميناء تونس واحتجاز من فيها من أشخاص وامتعة وعلاوة على ذلك التزام السلطان الحفصي بمقتضى تلك المعاهدة[3] ولمدة عشر سنوات بدفع ضريبة سنوية لملك الأرغوان قدرها ألف دينار من الذهب كما نصت المعاهدة على بناء فنادق للتجار الأرغوانيين من المسلمين او اليهود بعد عقد هذا الصلح[4].

---

[1] **الأرغوان:** بدأت تاريخها إمارة صغيرة أجري احتوائها في مملكة تبرة إلا أنها عاودت الوجود مرة اخرى خلال القرن الحادي عشر ولم تلبث أن اتحدت بدورها مع إمارة قطالونيا لتصبح هذه المملكة القوة الثانية في شبه الجزيرة بعد مملكة قشتالة، وتولى العرش ملك فتى كان له دور كبير في توسيع هذه المملكة وتقويتها وهو خايمي الاول الذي كان يفيض حماسة للإعلاء بشأن مملكته. ينظر: عبادة كحيلة، تاريخ النصارى في الأندلس، ط1، المطبعة الإسلامية الحديثة، القاهرة، 1993م، ص58. ينظر: هلال فؤاد، خطة مشيخة الغزاة للفترة 670 –783هـ/1271–1381 م، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الوسيط، تخصص تاريخ وحضارة بلاد الأندلس، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008–2009، ص46

[2] روبار برنشفيك، مرجع سابق، ص 212

[3] كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص 40

[4] كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص40

وهكذا فقد أسفر إصرار بيدرو في اخر الامر عن نتيجة إيجابية حيث قبلت تونس دفع الضريبة، وبالرغم من عدم الإشارة إلى الدين الميورقي القديم فإنه سيتم تسديد ما فيه الكفاية بواسطة المبالغ التي رضي السلطان أبي إسحاق باستخلاصها ولكن ذلك الاتفاق الرسمي لم يمنح أحد الرعايا الميورقيين من القيام بأعمال القرصنة[1] في ميناء كل من تونس وسوسة [2]، حيث بعث ابن تافراجين رساله إلى بيدرو الرابع ملك الأرغوان في 27 جمادي الأخر سنة 761 هـ/ 1360م يخبره فيها بنقض أحد رعاياه المورقيين الصلح ورغم إخباره بمعاهدة الصلح والسلام المبرمة بين الطرفين وطلب الحاجب ابن تافراجين من الملك بيدرو معاقبته ورد ما سلبه المعتدي من مال وسلع ورغم نشاط عملية القرصنة إلا أنها لم تعكر صفو العلاقات الودية بين الدولة الحفصية ومملكة الارغوان

وقد ذاع صيت الحاجب ابن تافراجين في بلاط ملك الآرغوان حيث تذكر وثائق أرشيف تاج الأرغوان أن الملك بيدرو الرابع كان يوصي مبعوثيه إلى الحاضرة تونس دائما بالحرص على مقابلة الحاجب ابن تافراجين ويطلب منه بدوره الاعتناء بسفرائه ومساعدتهم في القضايا التي جاءوا إليها مع السلطان الحفصي.[3]

وتجدر الإشارة إلى أن تلك الاتفاقيات كانت على العموم متشابهة في خطوطها العامة على الأقل وتمثل نماذج لجميع الوثائق الدبلوماسية المميزة لتاريخ العلاقات الخارجية خلال القرون الثلاث الاخيرة من العصر الوسيط.

[1] **القرصنة:** كلمة إيطالية تعني السباق وقد استعملت هذه الكلمة للتعبير عن التسابق البحري أي الهجوم والاعتداء على السفن أو سواحل الدول الاخرى، بينما نجد في المصادر الإسلامية تعبير آخر عن القرصنة وهم غزاة البحر كما ورد عند ابن خلدون والغبريني وعموما فقد تكون القرصنة أحيانا الحملات التي تشنها الدولة ضد السفن التجارية وقد تلتبس القرصنة أحيانا باللصوصية واعمال السلب والنهب، ينظر: مريم محمد عبد الله جبودة، مرجع سابق، ص52.

[2] روبار برونشفيك، مرجع سابق، ص 213

[3] كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص ص 40، 41.

وقد لوحظ أن تلك التشريعات من القواعد القانونية والأنظمة والأساليب التقنية التجارية التي تحددت في تلك المعاهدات كانت في جملتها مستوحاة من معايير متسامحة ومبادئ قانونية متقدمة لم تطبق حتى في العلاقات بين الدول الاوروبية ذاتها[1].

المطلب الثالث: علاقته مع بني الأحمر في غرناطة.

أشارت المصادر العربية إلى وجود علاقة صداقة ومودة بين الحاجب ابن تافراجين والسلطان محمد الخامس الغني بالله بن الأحمر[2] صاحب مملكة[3] غرناطة[4] حيث كانوا يتبادلون الرسائل الودية بينهما[5]، وقد ذكر الوزير ابن الخطيب[6] أن السلطان الغني بالله بعث برسالة ودية إلى الحاجب ابن تافراجين في سنة 763هـ-1362م يخبره فيها بالأحداث التي

---

[1] مريم محمد عبد الله جبوده، مرجع سابق، ص 134

[2] **الغني بالله بن محمد الخامس:** تولى الحكم بعد اغتيال والده الملك ابو الحجاج يوسف عام 755 هـ، وكان البعض قد رشح ابنه إسماعيل، وفر محمد الخامس إلى وادي آش فبايعه أهلها ووصل خبر هذه الواقعة الى السلطان أبي سالم المريني، فأرسل حينها أبا القاسم الشريف لإجازة محمد المغصوب على ملكه إلى المغرب، وبقي ابن الاحمر محمد ووزيره ابن الخطيب في حاضرة ابن مرين لإرجاع ملكه سنة 763هـ واستمرت أحوال غرناطة في مدة حكمه ما كانت عليه من الغبطة والسعادة، إذ لم تقم لها بعد هذا السلطان قائمة تشكر إلى أن قبض عليه سنة 796هـ. ينضر: الأمير شكيب أرسلان، خلاصة تاريخ الأندلس، د ط، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1403هـ/1983م، ص ص 99، 100.

[3] كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص41 .

[4] **غرناطة:** عند قيامها في القرن السابع هجري كانت تشمل القسم الجنوبي من الاندلس القديمة التي يحدها من الشمال ولايات جيان وقرطبة واشبيلية ومن الجنوب نهر الوادي الكبير وشاطئ البحر الأبيض المتوسط ومضيق جبل طارق ومن الشرق ولاية مرسية والبحر الأبيض المتوسط ومن الغرب قادس وأرض الفرنتيرة، اما بخصوص تسميتها فقد اختلف المؤرخون في اصلها « قال المقري من أشهر بلد الأندلس غرناطة وقيل ان الصواب تسمى أغرناطة بالهمزة وقال الشقندي غرناطة فهي دمشق بلد الاندلس » ينظر: مزاحم علاوي الشاهري، مرجع سابق، ص 51. ينظر: الأمير شكيب أرسلان، مرجع سابق، ص 17.

[5] روبار برونشفيك، مرجع سابق، ص 213

[6] **ابن الخطيب:** هو محمد عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني القرطبي الأصل ثم طليطلية، ثم لوشي، ثم غرناطي، يكنى أبا عبدالله ويلقب من الألقاب المشرقية لسان الدين المعروف بابن الخطيب نشأ بغرناطة وتأدب على= =مشيختها فأجاد سائر العلوم المتداولة في عصره كالنحو والفقه وعلم الكلام والخطابة والتاريخ والطب ونظم الشعر، وتقلد الوزارة وتلقب بها، ثم تناولته ألسن الوشاية، فتغير عليه الحكام ففر إلى فاس في المغرب، له تآليف عدة، أشهرها: كتاب العريف بالحب الشريف، والإحاطة بتاريخ غرناطة، توفي سن 776هـ، ينظر: الأمير أرسلان شكيب، مرجع سابق، ص ص111، 112. ينظر: نجيب زينب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، ج2، ط1، دار الامير، بيروت، لبنان، 1415هـ/1995م، ص138.

وقعت أنذاك بمملكة غرناطة خاصة الانقلاب الذي تزعمه محمد بن إسماعيل بن نصر أحد أقربائه[1] ونذكر بعض ما ورد في الرسالة: «...وبحسب ذلك نطلعكم على غريب ما جرى به ملكنا القدر، وحيث بلغ الورد، وكيف كان الصدر، وربما اتصلت بكم الحادثة التي أكفاها على دار ملكنا من لم يعرف غير نعمتنا غاديا، ولا برح في جوانب احسانها رايحا وغاديا، يتيم حجرها الكافل، ورضيع درها الحافل الشقي الخاسر، الخائن الغادر، محمد بن سماعيل المستجير بنا من لوم غدره، الخفية عنا حيل مكره، الخمول قدره...»[2].

كما أخبره فيها من تمكنه بالعودة إلى الحكم واستقراره على عرش مملكة غرناطة[3] وقال ضياء باشا في شأن السلطان محمد الخامس «إنه بحسن إدارة محمد الخامس من سلالة محمد الشيخ وجنوحه إلى السلم أو بالصدمات الداخلية والخارجية التي توالت يومئذ على مملكة قشتالة وأرغوان قد مضت على ذلك عشرون سنة متتابعة على غرناطة كانت فيها أسعد الممالك حالا، وأنعمها بالا، وهي غرر أيام ابن الأحمر، بل أيام الاندلس كلها»[4].

كما دعا الحاجب ابن تافراجين في رسالته بالعمل على استقرار العلاقات الطيبة الوطيدة التي تربط بين الدولة الحفصية ومملكة غرناطة[5].

[1] كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص 41

[2] لسان الدين ابن الخطيب، ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، تح: محمد عبد الله عنان، مج 1، ط1، مكتبة الخانجي القاهرة، 1400هـ/1980م، ص ص 502، 503.

[3] كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص 41

[4] الأمير أرسلان شكيب، مرجع سابق، ص 75

[5] كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص، ص 41، 42

الخاتمة

الخاتمـة

في ختام بحثنا لموضوع ابن تافراجين ونشاطه السياسي 730-766هـ/1329-1365م نستنتج ما يلي:

- ✓ عرفت الدولة الحفصية استقرارا سياسيا خلال الفترة المدروسة (730-766هـ/1329-1365م)، لكنها لم تخلو من بعض الفوضى والاضطرابات في ضل حكام بني حفص
- ✓ انحدار ابن تافراجين من أسرة موحدية عريقة لها خلفية سياسية في الدولتين الموحدية والحفصية، ونشأته في كنف الدولة الحفصية.
- ✓ تدرج إبن تافراجين في المناصب السياسية بين السفارة والوزارة إلى أن أصبح حاجبا سنة 744هـ/1343م.
- ✓ مساهمة ابن تافراجين في توطيد العلاقات الحفصية المرينية، وذلك من خلال المصاهرة من أجل المصالح السياسية .
- ✓ بلغ ابن تافراجين شأنا كبيرا لدرجة أنه كان يولي السلاطين الحفصيين ويعزلهم ويخالف ولاية العهد.
- ✓ تحريض ابن تافراجين للسلطان المريني أبي الحسن لغزو إفريقية تلبية هذا الاخير لطلب الحاجب ابن تافراجين، إلا أنه لم يحصل على النفوذ التي كان يتمتع بها في ظل السلطان الحفصي أبي بكر، فأحدث انقلابا ضد السلطان المريني أبي الحسن وذلك باستمالته للأعراب لصالحه، ولكن محاولته باءت بالفشل فقرر الفرار نحو المشرق .
- ✓ عودة ابن تافراجين إلى إفريقية ودوره في عزل السلطان أبي الفضل وتولية الأمير إبي إسحاق بن إبراهيم سلطانا على الدولة الحفصية

- ✓ كان لابن تافراجين قدرة كبيرة على الانزواء أثناء اضطراب الأمور ثم الظهور بعد ذلك متمتعا بسلطة متزايدة.
- ✓ دور ابن تافراجين في مواجهة المخاطر وقضائه على حركات التمرد.
- ✓ كان لابن تافراجين دور كبير في ربط العلاقات بين الدولة الحفصية وغيرها من الدول سواء الإسلامية أو دول أوروبا كالبيزة وأراغون.
- ✓ امتياز ابن تافراجين بالدهاء والحنكة وبعد النظر والخبرة، ويبدو ذلك جدو واضح من خلال مهارته على الساحة السياسية، فقد كان له تأثير كبير على قرارات العديد من السلاطين الحفصيين، كما أنه قد أصبح في الكثير من الأحيان هو المدبر الحقيقي لأمور الدولة والسلطان المتوج لسنوات عديدة، وصاحب الحل والعقد فيما ساعده على توطيد نفوذ أسرته.
- ✓ يتضح لنا من خلال ما سبق أن الحاجب ابن تافراجين يعتبر من أبرز شخصيات أسرته من خلال العهد الحفصي وذلك لما له من دور واضح وخطير في الحوادث السياسية بإفريقية خلال القرن 8هـ/14م وتمتعه بنفوذ واسعه وسلطة مطلقة مدة ما تزيد 20 سنة.

الملاحق

الملحق رقم01: شجرة نسب الحفصيين حتى ولاية ابي فارس

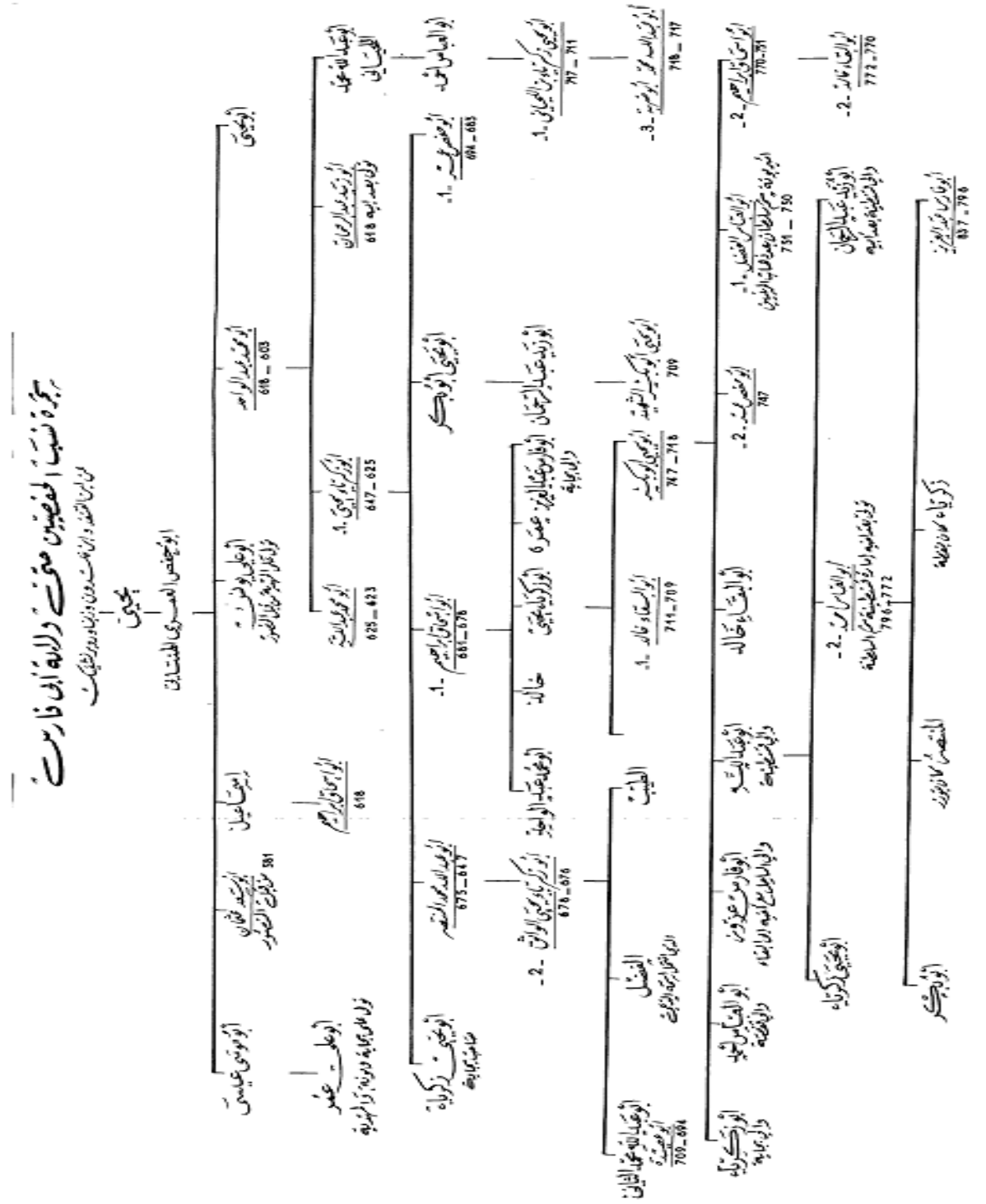

المصدر: ابن القنفذ، مصدر سابق، ص294.

الملحق رقم 02: خريطة الحدود الجغرافية للدولة الحفصية

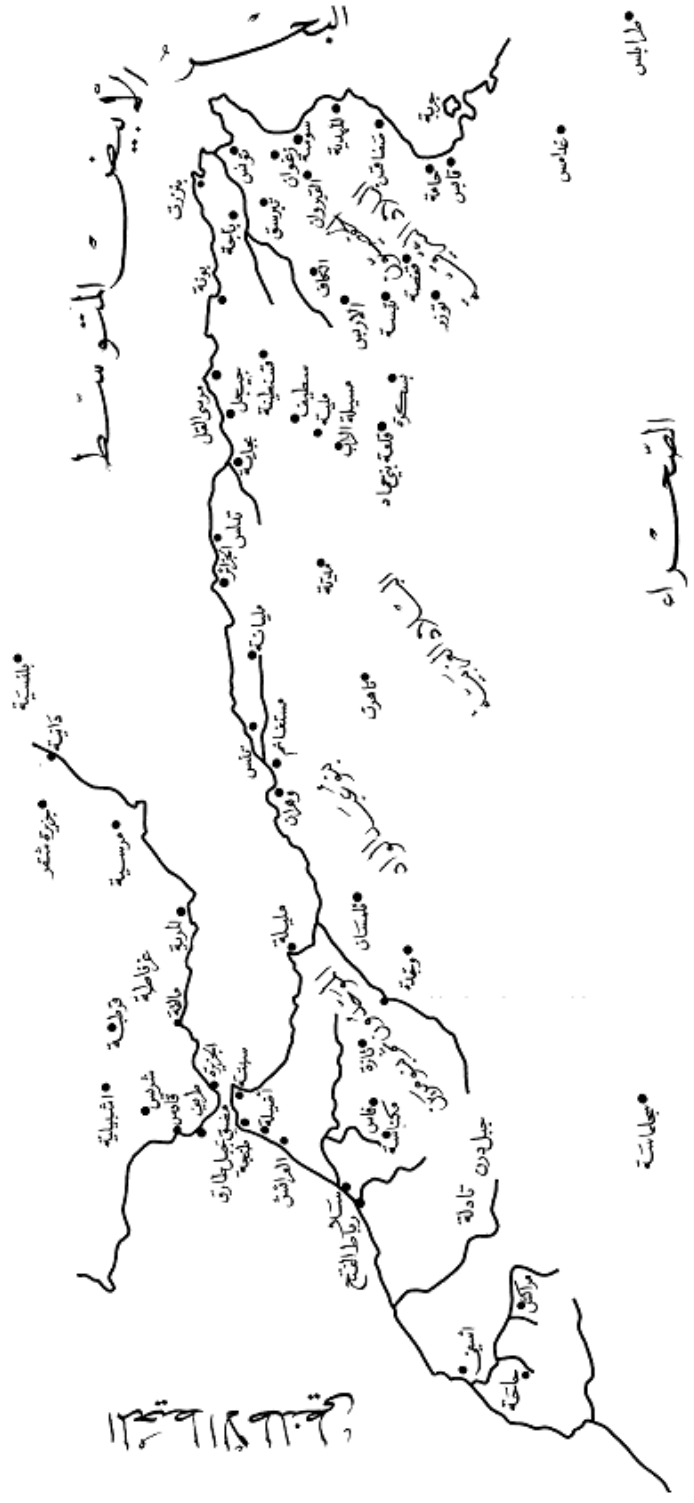

المصدر: ابن القنفذ، مصدر سابق، ص293.

الملحق رقم 03: نسب أفراد اسرة الحاجب ابن تافراجين

١ – أبو حفص عمر بن تاقراجين (جد بني تافراجين) ت سنة ٥٤٩هـ .
٢ – عبدالله بن عمر بن تافراجين (كان حيا سنة ٥٨٠هـ) .
٣ – عمر بن عبدالله بن تافراجين (كان حيا سنة ٥٩١هـ)
٤ – عبدالعزيز بن تافراجين (كان حيا سنة ٦٢٦هـ)
٥ – عبدالحق بن تافراجين (كان حيا سنة ٩٨١هـ)
٦ – أبو العباس أحمد بن عبدالعزيز بن تافراجين (ت سنة ٧٠٣ هـ)
٧ – محمد بن عبدالعزيز تافراجين
٨ – عمر بن عبدالعزيز بن تافراجين ـ عاشا في أواخر السابع وأوائل الثامن الهجري
٩ – أبو العباس احمد بن احمد بن عبدالعزيز بن تافراجين (ت ٧٤٧هـ).
١٠ – أبو محمد عبدالله بن أحمد بن عبدالعزيز بن تافراجين (ت ٧٦٦هـ) .
١١ – محمد بن عبدالله بن أحمد بن عبدالعزيز بن تافراجين (ت سنة ٧٧٨هـ)
١٢ –أبو عبدالله بن أبي العباس أحمد بن تافراجين (كان حيا سنة ٧٩٦هـ).
١٣ – أبو الفضل أبو القاسم بن أبي عبدالله بن أبي العباس أحمد بن تافراجين (عاش في أواخر القرن الثامن وأوائل التاسع الهجري) .

المصدر: كمال السيد أبو مصطفى، المرجع السابق، ص47.

الملحق رقم 04: وثيقة رقم 140 مكرر بأرشيف اراغون تحوي معاهدة صلح وسلام بين السلطان أبو إسحاق إبراهيم مع الفارس فرنسيس سكوسطة

5) وثيقة عدد 140 مكرر بأرشيف أراغون

تاريخ 25 صفر لسنة 761هـ الموافق لـ 15 يناير 1360م

هذا كتاب صلح مبارك عقده عن سيدنا ومولانا الخليفة الإمام المستنصر بالله المنصور بفضل الله أمير المؤمنين أبو إسحاق[1] إبراهيم ابن سيدنا ومولانا الخليفة الإمام المتوكل على الله المؤيد بنصر الله أمير المؤمنين المقدس المرحوم أبو يحيى أبو بكر ابن ساداتنا الأمراء الراشدين أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته وخيره وأعلى ذكرهم وشيد فخرهم وخلد ملكهم وجعل البسيطة ملكهم شيخ دولتهم ودول أسلافهم الأكرمين وخاصتهم المقرب المؤتمن المكين حاجب الملوك الكرماء المفوض إليه منهم على الكمال والتمام المعروف يمن نقيبته على الدوام في كل وجه ومرام الشيخ الأجل المعظم الحاج المجاور المؤقر الأرفع الأسنى الأسرى الأشهر الكبير الأفخم الأمنع الأشمخ الأطول الأثرة العلم المقرب الأحظى الأرضى المبارك الأسعد الصديق الكهف الملاذ الأرشد الأغضد الأوحد الأكمل أبو محمد عبد الله مصلح الأحوال بعد اختلالها ومنجح الآمال بعد اعتلالها أعلى الله على منابر العز ذكره وأحظى في كافة الآفاق شكره وجعل إمرته بالإسعاد دائمة لا ينفك مداها ورتبته بالإقبال ثابتة لا ينكر إلى سواها ابن السيد المسند الشيخ الأجل الفقيه الراوية المحدث المعظم المؤقر

(1) - أبو إسحاق ابن السلطان أبو بكر بن أبي زكرياء الحفصي.

المُحْتَرَمِ الأَضْخَمِ الأَشْمَخِ الأَشْهَرِ الكَبِيرِ الخَطِيرِ
الأَوْحَدِ العَلَمِ الصَّدْرِ الأَرْقَى الأَسْعَدِ الأَصْعَدِ الأَكْمَلِ
المُقَدَّسِ المَرْحُومِ أَبِي العَبَّاسِ أَحْمَدَ ابنِ
تَفْرَاجِن[1] قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ وَجَعَلَ الجَنَّةَ نُزُلَهُ
وَمَقِيلَهُ عَقَدَهُ أَبْقَى اللَّهُ جَلَالَهُ وَحَفِظَ مِنَ الغِيَرِ كَمَالَهُ
وَأَسْعَدَ مُسْتَقْبَلَهُ وَحَالَهُ مَعَ الفَارِسِ فَرَنْسِيسَ
سَكُوسْطَةَ الوَافِدِ فِي أَوَائِلِ شَهْرِ تَارِيخِهِ عَلَى الحَضْرَةِ
العَلِيَّةِ تُونِسَ أَعْلَى اللَّهُ مَنَارَهَا وَجَدَّدَ أَنْوَارَهَا رَسُولاً
مِنْ قِبَلِ المَلِكِ الأَجَلِّ الأَثِيرِ الخَطِيرِ الشَّهِيرِ أُنْبِيرَ
مَلِكِ أَرْغُونَ وَبَلَنْسِيَةَ وَمَيُورْقَةَ وَسَرْدَانِيَةَ وَكُورْسِكَةَ
وَقَنْتَ بَرْجَلُونَةَ وَالرُّسِّلْيُونَ وَسَرْطَانِيَةَ ابنِ المَلِكِ

[1] ـ ابن تفراجين: صاحب السّلطان أبو بكر.

الأَجَلِّ الأَثِيرِ الخَطِيرِ الشَّهِيرِ أَلْفُونْس[1] وَبَعْدَ وُفُودِهِ
عَلَى الحَضْرَةِ العَلِيَّةِ المَذْكُورَةِ اسْتَظْهَرَ بِكِتَابٍ مِنْ
قِبَلِ مُرْسِلِهِ المَلِكِ الأَجَلِّ الأَثِيرِ الخَطِيرِ الشَّهِيرِ
أُنْبِيرَ المَذْكُورِ مِنْ مَضْمُونِ الكِتَابِ المَذْكُورِ
التَّفْوِيضُ لَهُ فِي عَقْدِ الصُّلْحِ بَيْنَ الحَضْرَةِ العَلِيَّةِ
المَذْكُورَةِ وَبَيْنَ مُرْسِلِهِ المَلِكِ الأَجَلِّ الأَثِيرِ
الخَطِيرِ الشَّهِيرِ أُنْبِيرَ المَذْكُورِ فَانْعَقَدَ الصُّلْحُ فِي
هَذَا الرَّسْمِ لِعَشْرَةِ أَعْوَامٍ شَمْسِيَّةٍ مُتَوَالِيَةٍ أَوَّلُهَا تَارِيخُ
هَذَا الرَّسْمِ مَعَ الرَّسُولِ فَرَنْسِيسَ سَكُوسْطَةَ المَذْكُورِ
عَنْ مُرْسِلِهِ المَلِكِ الأَجَلِّ الأَثِيرِ الخَطِيرِ الشَّهِيرِ
أُنْبِيرَ المَذْكُورِ عَلَى شُرُوطٍ اتَّفَقَ مَعَهُ عَلَيْهَا حَسْبَمَا

[1] ـ ألفونس: هو ألفونس الرّابع أخو جاقمو الثّاني وكان خلفهُ بعد موته. وتولّى الحكم بعده ابنهُ بترو الرّابع: أنبير المذكور !!

تُذْكَرُ بَعْدُ فِيمَنْهَا:

ـ أَنْ يَكُونَ الصُّلْحُ شَامِلاً لِبِلاَدِ الحَضْرَةِ العَلِيَّةِ المَذْكُورَةِ مَهَّدَهَا اللَّهُ تَعَالَى وَبِلاَدِ المَلِكِ الأَجَلِّ الأَثِيرِ الخَطِيرِ أُنْبِيرَ المَذْكُورِ بَرًّا وَبَحْرًا شَرْقًا وَغَرْبًا بُعْدًا وَقُرْبًا مَا كَانَ مِنْهَا الآنَ بِأَيْدِينَا أَوْ بِأَيْدِيهِمْ أَوْ يَدْخُلُ بَعْدَ هَذَا فِي طَاعَتِنَا أَوْ فِي طَاعَتِهِمْ مُدَّةَ أَمَدِ الصُّلْحِ المَذْكُورِ وَمِنْهَا أَنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ يُسَافِرُ مِنَ الحَضْرَةِ العَلِيَّةِ المَذْكُورَةِ مَهَّدَهَا اللَّهُ تَعَالَى أَوْ مِنَ البِلاَدِ الرَّاجِعَةِ إِلَى نَظَرِهَا وَتَدْبِيرِهَا يَكُونُ آمِنًا بِأَمَانِ اللَّهِ تَعَالَى فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ لاَ يَلْحَقُهُ ضَرَرٌ وَلاَ تَمْتَدُّ إِلَيْهِ يَدٌ عَادِيَةٌ وَمِنْهَا أَنَّ المَلِكَ الأَجَلَّ الأَثِيرَ أُنْبِيرَ المَذْكُورَ يَمْنَعُ مَنْ يُرِيدُ الخُرُوجَ مِنْ جَمِيعِ بِلاَدِهِ إِلَى بِلاَدِ الحَضْرَةِ العَلِيَّةِ المَذْكُورَةِ مَهَّدَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِسَبَبِ القَطْعِ فِي جَفْنٍ مِنَ الأَجْفَانِ عَلَى أَيِّ نَوْعٍ كَانَ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا وَاحِدًا أَوْ مُتَعَدِّدًا وَلاَ يَصِلُ أَحَدٌ مِنْ بِلاَدِهِ وَلاَ مِمَّنْ هُوَ فِي عَمَلِهِ وَتَحْتَ طَاعَتِهِ إِلَى أَحَدٍ مِمَّنْ هُوَ فِي مَرْسَى مِنْ مَرَاسِي بِلاَدِ الحَضْرَةِ العَلِيَّةِ المَذْكُورَةِ مَهَّدَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِمَضَرَّةٍ وَلاَ إِذَايَةٍ مُسْلِمِينَ كَانُوا أَوْ غَيْرِ مُسْلِمِينَ وَارِدِينَ عَلَيْهَا أَوْ صَادِرِينَ عَنْهَا إِلاَّ قَبِيلَةَ النَّصَارَى الفِنْشِيِّينَ فَإِنَّهُمْ يَدُهُمْ فِيهِمْ عَامِلَةٌ بِمَا يَرَوْنَ إِلاَّ التُّجَّارَ الَّذِينَ يَكُونُونَ فِي أَجْفَانِ الفِنْشِيِّينَ وَهُمْ فِي مَرْسَى الحَضْرَةِ العَلِيَّةِ المَذْكُورَةِ أَوْ فِي مَرْسَى مِنْ مَرَاسِي بِلاَدِهَا أَوْ لَقُوهُمْ عَلَى ظَهْرِ البَحْرِ فَإِنَّهُمْ يَحْتَرِمُونَهُمْ بِسَبَبِ هَذَا الصُّلْحِ وَيَحْتَرِمُونَ أَمْوَالَهُمْ مُسْلِمِينَ كَانُوا أَوْ نَصَارَى وَارِدِينَ عَلَى الحَضْرَةِ العَلِيَّةِ المَذْكُورَةِ أَوْ شَيْءٍ مِنْ

بِلاَدِهَا وَسَوَاحِلِهَا أَوْ صَادِرِينَ عَنْهَا وَإِنْ كُلُّ مَنْ يَلْحَقُهُ ضَرَرٌ مِنْ أَهْلِ بِلاَدِ الحَضْرَةِ العَلِيَّةِ المَذْكُورَةِ مَهْدَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي نَفْسِهِ أَوْ مَالِهِ مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ بِلاَدِ المَلِكِ الأَجَلِّ أَنْبِيرَ المَذْكُورِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَبْحَثَ عَنْ قَضِيَّتِهِ وَيُنْصِفَهُ مِمَّنْ تَعَدَّى عَلَيْهِ بَعْدَ ثُبُوتِ ذَلِكَ وَأَنْ يَكُونَ كُلُّ مَنْ يَصِلُ مِنْ بِلاَدِ الحَضْرَةِ العَلِيَّةِ المَذْكُورَةِ إِلَى بِلاَدِ المَلِكِ الأَجَلِّ أَنْبِيرَ المَذْكُورِ أَوْ إِلَى جَزِيرَةٍ مِنْ جُزُرِهِ أَوْ إِلَى مَوْضِعٍ مِنَ المَوَاضِعِ الَّتِي تَحْتَ طَاعَتِهِ المُعْتَادَةِ لِنُزُولِهِمْ آمِنًا فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ وَعَلَى أَنْ لاَ يُعِينَ أَحَدًا يُرِيدُ ضَرَرًا بِبَلَدٍ مِنْ بِلاَدِ الحَضْرَةِ العَلِيَّةِ المَذْكُورَةِ مَهْدَهَا اللَّهُ تَعَالَى وَعَلَى أَنْ كُلُّ جَفْنٍ يَعْطُبُ لأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ بِلاَدِ الحَضْرَةِ العَلِيَّةِ المَذْكُورَةِ فِي مَوْضِعٍ

مِنْ بِلاَدِ المَلِكِ الأَجَلِّ أَنْبِيرَ المَذْكُورِ أَوْ مُسْلِمٍ يَكُونُ مِنْ أَهْلِ بِلاَدِ الحَضْرَةِ العَلِيَّةِ المَذْكُورَةِ فِي جَفْنٍ يَعْطُبُ لِلنَّصَارَى فَعَلَى أَهْلِ المَوْضِعِ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ العَطَبُ أَنْ لاَ يَتَعَرَّضَ أَحَدٌ مِنْهُمْ لأَحَدٍ مِنَ المُسْلِمِينَ بِشَرٍّ وَلاَ يَحُولُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَلْفِظُهُ البَحْرُ لَهُمْ مِنْ سِلَعِهِمْ أَوْ مِنْ حُطَامِهِمْ وَعَلَى أَنْ كُلَّ جَفْنٍ يَكُونُ فِي مَرْسَى مِنْ مَرَاسِي بِلاَدِ الحَضْرَةِ العَلِيَّةِ المَذْكُورَةِ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا لأَهْلِهَا أَوْ لِغَيْرِ أَهْلِهَا مُسْلِمِينَ كَانُوا أَوْ نَصَارَى فَحُكْمُهُمْ حُكْمُ بِلاَدِ الحَضْرَةِ العَلِيَّةِ المَذْكُورَةِ فِي الدَّعَةِ وَالأَمَانِ وَعَلَى أَنْ لاَ يَشْتَرِيَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بِلاَدِهِ مِمَّنْ يَقْطَعُ عَلَى أَهْلِ بِلاَدِ الحَضْرَةِ العَلِيَّةِ المَذْكُورَةِ شَيْئًا مِنْ سِلَعِهِمْ وَلاَ مِنْ أَسْرَاهُمْ وَأَنْ يَصْرِفُوهُمْ مِنْ كُلِّ بَلَدٍ

عَلَيْهَا حُكْمُهُمْ وَيَمْنَعُوهُمُ النُّزُولَ بِهِمْ إِلَى سَوَاحِلِهِمْ كُلِّهَا وَكَذَلِكَ يَكُونُ حُكْمُ أَهْلِ بِلَادِ الْمَلِكِ الْأَجَلِّ أُنْبِيرَ الْمَذْكُورِ بِالْحَضْرَةِ الْعَلِيَّةِ الْمَذْكُورَةِ وَسَائِرِ بِلَادِهَا سَوَاءٌ وَمَتَى دَخَلَتْ قِطْعَةٌ أَوْ جَفْنٌ أَوْ أُسْطُولٌ أَوِ اجْتَازَتْ مِنْ غَيْرِ مَضَرَّةٍ مِنْ بِلَادِ الْحَضْرَةِ الْعَلِيَّةِ الْمَذْكُورَةِ مَهَّدَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِمَرْسَى مِنْ مَرَاسِي بِلَادِ الْمَلِكِ الْأَجَلِّ أُنْبِيرَ الْمَذْكُورِ أَوْ جَزِيرَةٍ مِنْ جُزُرِهِ أَوْ سَاحِلٍ مِنْ سَوَاحِلِهِ فَلَهُمْ أَنْ يُجَدِّدُوا أَزْوِدَتَهُمْ بِدَرَاهِمِهِمْ وَيَسْتَقُوا الْمَاءَ وَلَا يُمْنَعُوا مِنْ ذَلِكَ وَكَذَلِكَ كُلُّ نَصْرَانِيٍّ يُسَافِرُ مِنْ بِلَادِ الْمَلِكِ الْأَجَلِّ أُنْبِيرَ الْمَذْكُورِ إِلَى بَلَدٍ مِنْ بِلَادِ الْحَضْرَةِ الْعَلِيَّةِ الْمَذْكُورَةِ أَوْ إِلَى مَرْسَى مِنْ مَرَاسِي بِلَادِهَا الْمُعْتَادَةِ لِنُزُولِهِمْ يَكُونُ آمِنًا فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ لَا يَلْحَقُهُ ضَرَرٌ وَلَا تَمْتَدُّ إِلَيْهِ يَدٌ عَادِيَةٌ وَيُمْنَعُ مَنْ يَخْرُجُ مِنْ أَهْلِ بِلَادِ الْحَضْرَةِ الْعَلِيَّةِ الْمَذْكُورَةِ مَهَّدَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِسَبَبِ الْقَطْعِ فِي جَفْنٍ مِنْ أَجْفَانِ عَلَى أَيِّ نَوْعٍ كَانَ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا وَلَا يَصِلُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بِلَادِ الْحَضْرَةِ الْعَلِيَّةِ الْمَذْكُورَةِ وَلَا مِمَّنْ هُوَ فِي عَمَلِهَا وَتَحْتَ طَاعَتِهَا إِلَى أَحَدٍ مِمَّنْ هُوَ فِي مَرْسَى مِنْ مَرَاسِي بِلَادِ الْمَلِكِ الْأَجَلِّ أُنْبِيرَ الْمَذْكُورِ بِمَضَرَّةٍ وَلَا بِفَسَادٍ نَصَارَى كَانُوا أَوْ غَيْرَ نَصَارَى وَارِدِينَ عَلَيْهَا أَوْ صَادِرِينَ عَنْهَا وَأَنَّ كُلَّ مَنْ لَحِقَهُ ضَرَرٌ مِنْ أَهْلِ بِلَادِ الْمَلِكِ الْأَجَلِّ أُنْبِيرَ الْمَذْكُورِ فِي نَفْسِهِ أَوْ مَالِهِ مِنْ أَحَدٍ مِمَّنْ هُوَ مِنْ أَهْلِ بِلَادِ الْحَضْرَةِ الْعَلِيَّةِ الْمَذْكُورَةِ فَعَلَيْهَا أَنْ تَبْحَثَ عَنْ قَضِيَّتِهِ وَتُنْصِفَهُ مِمَّنْ تَعَدَّى عَلَيْهِ بَعْدَ ثُبُوتِ ذَلِكَ مِنْ

بلادِهَا مِنْ أَهْلِ بِلادِ المَلِكِ الأَجَلِّ أُنْبِيرَ المَذْكُورِ فَهُوَ آمِنٌ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ وَعَلَى أَنْ لاَ تُعِينَ الحَضْرَةُ العَلِيَّةُ المَذْكُورَةُ مَهْدَهَا اللهُ تَعَالَى أَحَدًا يُرِيدُ ضَرَرًا بِبَلَدٍ مِنْ بِلادِ المَلِكِ الأَجَلِّ أُنْبِيرَ المَذْكُورِ وَعَلَى أَنَّ كُلَّ جَفْنٍ يَعْطُبُ لأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ بِلادِ المَلِكِ الأَجَلِّ أُنْبِيرَ المَذْكُورِ فِي مَوْضِعٍ مِنْ بِلادِ الحَضْرَةِ العَلِيَّةِ المَذْكُورَةِ مَهْدَهَا اللهُ تَعَالَى أَوْ نَصْرَانِيٌّ يَكُونُ مِنْ أَهْلِ بِلادِ االمَلِكِ الأَجَلِّ أُنْبِيرَ المَذْكُورِ فِي جَفْنٍ يَعْطُبُ لِلْمُسْلِمِينَ فَعَلَى أَهْلِ المَوْضِعِ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ العَطَبُ أَنْ لاَ يَتَعَرَّضَ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَحَدًا مِنَ النَّصَارَى بِشَرٍّ وَلاَ يَحُولُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَلْفِظُهُ البَحْرُ لَهُمْ مِنْ سِلَعِهِمْ أَوْ مِنْ حُطَامِهِمْ وَعَلَى أَنْ لاَ يَشْتَرِيَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بِلادِ الحَضْرَةِ العَلِيَّةِ المَذْكُورَةِ مِمَّنْ يَقْطَعُ عَلَى أَهْلِ بِلادِ المَلِكِ الأَجَلِّ أُنْبِيرَ المَذْكُورِ شَيْئًا مِنْ سِلَعِهِمْ وَلاَ مِنْ أَسْرَاهُمْ مُدَّةَ أَمَدِ الصُّلْحِ المَذْكُورِ وَمَتَى دَخَلَتْ قِطْعَةٌ أَوْ جَفْنٌ أَوْ أُسْطُولٌ أَو اجْتَازَتْ مِنْ غَيْرِ مَضَرَّةٍ مِنْ بِلادِ المَلِكِ الأَجَلِّ أُنْبِيرَ المَذْكُورِ بِمَرْسَى مِنْ مَرَاسِي بِلادِ الحَضْرَةِ العَلِيَّةِ المَذْكُورَةِ أَوْ سَاحِلٍ مِنْ سَوَاحِلِهَا فَلَهُمْ أَنْ يُجَدِّدُوا أَزْوِدَتَهُمْ بِدَرَاهِمِهِمْ وَيَسْتَقُوا المَاءَ وَلاَ يُمْنَعُوا مِنْ ذَلِكَ وَإِنَّ جَمِيعَ مَنْ يُسَافِرُ مِنَ الحَضْرَةِ العَلِيَّةِ المَذْكُورَةِ أَوْ مِنْ سَائِرِ بِلادِهَا فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ إِلَى بِلادِ المَلِكِ الأَجَلِّ أُنْبِيرَ المَذْكُورِ يَكُونُ آمِنًا فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ لاَ يَلْزَمُهُ فِي مَتْجَرِهِ غَيْرُ المَلاَزِمِ القَدِيمَةِ المُعْتَادَةِ مُجْتَازِينَ كَانُوا أَوْ قَاطِنِينَ وَكَذَلِكَ حُكْمُ أَهْلِ بِلادِ المَلِكِ الأَجَلِّ أُنْبِيرَ

المَذْكُورِ فِي الحَضْرَةِ العَلِيَّةِ المَذْكُورَةِ مَهَّدَهَا اللَّهُ تَعَالَى وَفِي سَائِرِ بِلاَدِهَا سَوَاءٌ وَذَلِكَ مُدَّةَ أَمَدِ الصُّلْحِ المَذْكُورِ وَأَنْ تُبْنَى لَهُمْ فَنَادِقُهُمْ المَعْرُوفَةُ لِسُكْنَاهُمْ بِالحَضْرَةِ العَلِيَّةِ المَذْكُورَةِ وَتُصْلَحَ بُيُوتُهَا وَمَخَازِنُهَا وَلاَ يَسْكُنَ أَحَدٌ مَعَهُمْ فِيهَا مِنْ غَيْرِ صِنْفِهِمْ إِلاَّ بِرِضَاهُمْ وَأَنْ يَكُونَ لَهُمْ قَنَاصِلَةٌ بِالحَضْرَةِ العَلِيَّةِ المَذْكُورَةِ وَسَائِرِ بِلاَدِهَا الَّتِي تَحْتَ طَاعَتِهَا يَحْكُمُونَ بَيْنَ النَّصَارَى القَطْلاَنِيِّينَ وَاليَهُودِ الَّذِينَ مِنْ بِلاَدِهِمْ فِيمَا لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ وَلاَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ غَيْرُ قَنَاصِلَتِهِمْ المُقَدَّمِينَ لِذَلِكَ وَأَنْ يَكُونَ لِلْقُنْصُلِ عَادَتُهُ المَعْرُوفَةُ بِالحَضْرَةِ العَلِيَّةِ وَبِسَائِرِ بِلاَدِهَا الَّتِي لَهُ عَقْدُ طَوَائِفِهِمْ وَأَنْ لاَ يُؤْسَرَ أَحَدٌ مِنَ الحَضْرَةِ العَلِيَّةِ المَذْكُورَةِ وَلاَ مِنْ سَائِرِ بِلاَدِهَا بِبِلاَدِ المَلِكِ الأَجَلِّ أُنْبِيرَ المَذْكُورِ مِنَ المُسْلِمِينَ وَلاَ مِنَ اليَهُودِ بَعْدَ عَقْدِ هَذَا الصُّلْحِ وَمَتَى ظَهَرَ ذَلِكَ فَحُكْمُهُ التَّسْرِيحُ وَالإِطْلاَقُ وَكَذَلِكَ لاَ يُؤْسَرُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بِلاَدِ المَلِكِ الأَجَلِّ أُنْبِيرَ المَذْكُورِ بِبِلاَدِ الحَضْرَةِ العَلِيَّةِ المَذْكُورَةِ مِنْ نَصْرَانِيٍّ أَوْ يَهُودِيٍّ بَعْدَ عَقْدِ هَذَا الصُّلْحِ وَمَتَى ظَهَرَ ذَلِكَ أَيْضًا فَحُكْمُهُ التَّسْرِيحُ وَالإِطْلاَقُ.

وَعَلَى أَنْ يَكُونَ لِلْمَلِكِ الأَجَلِّ أُنْبِيرَ المَذْكُورِ عَلَى دِيوَانِ حَضْرَةِ تُونُسَ المَحْرُوسَةِ وَسَائِرِ دَوَاوِينِ بِلاَدِهَا فِي كُلِّ عَامٍ مِنْ أَعْوَامِ أَمَدِ الصُّلْحِ المَذْكُورِ أَلْفَا دِينَارٍ اثْنَانِ مِنَ الدَّنَانِيرِ الذَّهَبِ الكَبِيرَةِ الضَّرْبِ السَّتِّينِيَّةِ يَأْخُذُهَا مَنْ يَنُوبُ عَنْهُ مِمَّنْ يَرْضَاهُ لِذَلِكَ مِمَّا يَجْلِبُهُ أَهْلُ بِلاَدِهِ مِنَ النَّصَارَى وَاليَهُودِ إِلَى

الحضرة العلية المذكورة وسائر بلادها من السلع
ومما يخرجونه منها من السلع أيضا ومن سائر
بلادها يأخذ ذلك من نصف الواجب عليهم في
ذلك كله من الملازم المخزنية داخلا وخارجا
فإن زاد النصف شيئا على الألفي الدينار الذهب
الموصوفة فيما يدخلون به ويخرجون فهو
للدواوين المذكورة وإن نقص المذكور في
الدواوين المذكورة عن الألفي الدينار الذهب
المذكور في عام من أعوام أمد الصلح المذكور
وأما النصف الآخر من الواجب عليهم فهو بكماله
للدواوين لا يأخذون منه شيئا.
فانعقد هذا الصلح المبارك على ما تقيد فيه
عقدا تاما وشهد على إشهاد فرنسيس سكوسطة

النصراني الرسول المذكور فيه بما فيه عنه وهو
بحال صحة وطوع وجواز
أمر بترجمة من عادته يترجم من تراجمة
المسلمين وغيرهم وبشرع الإذن في الشهادة فيه
ممن تنفذ عنه الأوامر السلطانية بحضرة تونس
المذكورة حرسها الله تعالى أدام الله عزته وحفظ
رفعته خاصة المقام الكريم ذو النصائح التي لها
مزية التفضيل والتقديم شيخ الموحدين وحاجب
الملوك الراشدين الشيخ الأجل المعظم الأرفع
الأثير الخلاصة الحاج المجاود الباذل الأشفع
الأفخم الأوحد الأسنى الأكمل أبو محمد
عبد الله ابن الشيخ الأجل الصالح الأنزه الفقيه
الراوية المحدث الأرفع الأسنى الأكمل

الـمُـقَدَّس الـمَـرْحُوم أَبِي العَبَّاس أَحْمَد بن تَفْرَاجِين الـمَـذْكُور فِيهِ أَدَامَ اللّٰهُ عَافِيَتَهُ وَوَصَلَ حِمَايَتَهُ وَحَفِظَ سِيَادَتَهُ الـمُـفَوَّضُ إِلَيْهِ مِنْ مَقَامِ الكَرِيمِ وَمِنْ أَسْلَافِهِمْ عَلَى الحَدِيثِ وَالقَدِيمِ التَّفْوِيضُ التَّامُّ وَهُوَ بِحَالِ كَمَالِ الإِشْهَادِ. وَذَلِكَ كُلُّهُ بِتَارِيخِ يَوْمِ الخَمِيسِ الخَامِسِ وَالعِشْرِينَ مِنْ صَفَرٍ مِنْ عَامِ أَحَدٍ وَسِتِّينَ وَسَبْعِمَائَةٍ وَهُوَ اليَوْمُ الـمُـوَافِقُ لِلْخَامِسِ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ الأَعْجَمِيِّ يَنَايِرَ الكَائِنِ فِي العَامِ الـمُؤَرَّخِ بِهِ وَحَضَرَ الرَّاهِبُ افْرَايُ جُـوَانُ وَمِـنَ القَطَلَانِيِّـينَ فَرَنْجِسْكُ دِتِيرْمِسُ وَوَلَدُهُ فَنْرَجِسِكُ وَانْدِرْيُونُ بُونْـتَ وَجَاقْمَةُ كُولِيـتُ وَفَرَنْجِسْكُ كُوِيـرْسُ وَبَرْنَـاطُ الرِّيُـو وَبَرْنَاطُ سَابَتْ ؟ وَمِسْيَاوُنُ فِلْيُو وَجِيمُ تَرِيلَـةُ وَمَرْتِينُ ارْتَلُ كَاتِبُ الغَرَابِ وَكَلِيمُ جَرْجِي وَبَرْتَمِيُو بَرْجِيـسُ وَارْنَاوُ جِينْتَةُ وَجَاقْمَةُ بِـتْرَانُ وَبَرْنَكِيـلُ سَـرْدَارُ وَمِـنَ الفُرْسَـانِ فَرَانْدُو بِرِيسُ وَوَقَفُوا عَلَى الكِتَـابِ الوَاصِلِ بِهِ النَّصْرَانِيُّ فَرَنْسِيسُ سَكُوسْطَةُ الرَّسُـولُ الـمَـذْكُورُ مِنْ قِبَلِ مُرْسِلِهِ الـمَـلِكِ الأَجَلِّ الأَثِيرِ أَنْبِيرَ الـمَـذْكُورِ وَقَرَأُوهُ وَأَمْعَنُوا النَّظَرَ فِيهِ فَذَكَرُوا كُلُّهُـمْ أَنَّـهُ مُقْتَضٍ لِلتَّفْوِيضِ التَّامِّ لِلرَّسُولِ فَرَنْسِيسَ سَكُوسْطَةَ الـمَـذْكُورِ يُعْقَدُ بِهِ الصُّلْحُ عَنْ مُرْسِلِهِ الـمَـلِكِ الأَجَلِّ الخَطِيرِ أَنْبِيرَ الـمَـذْكُورِ وَأَنَّهُ يَقْتَضِي التَّفْوِيضَ التَّامَّ عَنْهُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ وَحَضَرَ لِعَقْـدِ هَـذَا الصُّلْحِ الرَّاهِبُ افْرَايُ جُوَانُ الـمَـذْكُورُ وَفَرَانْدُو بِيرْسُ الـمَـذْكُورُ وَفَرَنْجِسْكُ دَتِيرْمِسْ وَوَلَدُهُ فَرَنْجِسْكُ الـمَـذْكُورَانِ وَذَلِكَ كُلُّهُ فِي التَّارِيخِ الـمَـذْكُورِ وَبِتَرْجَمَةِ مَنْ ذُكِرَتْ تَرْجَمَتُـهُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ شَهِدَ بِذَلِكَ كُلِّـهِ وَبِمُصْلِحٍ مِثْلِ لَـهُ "عَنْ"

وآخر مثل له "النصف". وآخر مثل له "ذكرت"
ويلحق مثل له "وأما للنصف الآخر من الواجب
عليهم فهو للدواوين المذكورة لا يأخذون منه
شيئاً" وآخر مثل له "عن"[1] شهد بذلك كله وأوقع
شهادته بذلك في الصوفي ثلاثين لصفر. أحمد
بن محمد بن أبو القاسم بن محمد خالي. محمد
بن محمد. أبو سعيد بن أحمد بن أحمد المغربي
. أبو القاسم بن محمد بن عبد الرحمان. عثمان
بن يحيى بن عثمان بن أبي رباح الصبيري.
محمد بن الحسين.

(1) - هذه العبارات والكلمات التي شددنا عليها وردت في عقد الصلح ثم إصلاحها والإشهاد عليها بأنها صحيحة وردت كما هي في النص الأصلي العربي. شهد بمحتها الشهود الذين حضروا تحرير العقد وإبرامه.

الحمد لله أعلم بثبوت الرسم المكتتب أعلاه:
عمر بن عبد العزيز[1] بن محمد عبد الرفيع الربعي.

(1) - إن هذا الوقع شاهد عدل شهد بثبوت الرسم ومضمنه.

المصدر: مريم عبد الله جبوده، مرجع سابق، ص ص 295–304.

الملحق رقم 05: رسالة من الغني بالله سلطان غرناطة الى الحاجب ابن تافراجين يخبره فيها بالاحداث التي وقعت سنة 763هـ/1362م

من الأَمير فلان أَيَّده الله ونَصَره . وأَعلى نصره وأَظهره . إلى وليِّنا فى الله الذى له القَدْرُ الرَّفيع المناصب ، والمجد السامى الذَّوائِب ، والسياسةُ التى أَخبارها سَمَرُ الْمُشاهد ، وحدوُ الرِّكائِب ، الشيخُ الجليل ، الكبير الشهير ، الهُمام الخطير ، الأَمضى الرفيع ، الأَعلى الأَمجد الأَوحد ، الأَصعد الأَسعد ، الأَرقى ، الطاهر الظاهر الفاضل الباسل ، الأَرْضَى الأَنْقَى ، المعظم الموقر المبرور ، عَلَمُ الأَعلام ، سُلالة أَكابر أَصحاب الإمام . معيدُ دولة التوحيد إلى الانتظام ، أَبو محمد عبد الله ابن الشيخ الجليل الكبير الشهير الماجد الخطير الرفيع ، الأَسعد الأَمجد ، الحسيب الأَصيل ، الطاهر الظاهر ، الأَرضى الأَمضى ، الأَفضل الأَكمل ، المعظم المقدس المرحوم أَبى العباس بن تِيفرا جين ، وصَل الله له عزَّةً تُنَاسب شهرة فضله ، وسعادة تتكفَّل له فى الدارين برفعة محلِّه . سلام كريم يخص مَجادتكم الفاضلة ، ورُتْبتكم الحافلة ، ورحمة الله وبركاته .

أَما بعد حَمْدِ الله الذى يُمحص ليثيب ، ويأْمُر بالاستقالة لِيُجيب ، ويُعْقب ليل الشدة بصبح الفَرج القَريب ، ونَجْنى من شَجَر التوكل عليه ، والتَّسليم إليه ثَمَرَ الصُّنع العجيب ، ويُظهر العِبر مَهْمى كَسَر ثم جَبَر ، لكل عبد[٢] مُنيب .

والصَّلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، الذى نلجأُ إلى ظلِّ شَفاعته فى اليوم العَصِيب ، ونَسْتَظهر بجاهه على جهاد عَبَدَة الصَّليب ، ونَسْتكثر بمدد بركاته فى هذا الثَّغر الغَرِيب ، ونصُول منه على العدوِّ بالحَبيب . والرضا عن آله وصحبه ، نجوم الهداية من بعده ، ولأُمَّته من الأفول والمَغِيب . فإنَّا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم عزَّة متصلة ، وعصمة بالأمان من نوب الزمان متكفِّلة . من حمراء غَرْناطَة حرسها الله ، ولا زائد بفضل الله الذى لطف وجبر ، وأظهر فى الإقالة وحسن الإدالة الْعِبر ، وجعلنا مِمَّن كُتب له الْمُقْبِي لما صَبَر ، إلاَّ الخير الذى كَسا الأَلطاف الجُبر ، والصُّنع الذى صدق الْخُبْر والْخَبَر . والحمد لله كثيراً كما هو أهله ، فلا فضل إلا فَضْلَه ، ولكانتكم عندنا المحل الذى[1] قررت شُهرة فضلكم قواعده ، وأعْلَت مصاعده ، وأثْبَتَ التَّواتُر شواهده ، إذ لا نزال نتحف [بسيركم التى هى][2] فى التدبير أثرٌ يُقتفى ، وعَلَمٌ يُسْترشد إذا العلم اختفى والسَّبيل عَفا ، وإن تلك الدولة بكم استقام أوَدُها ، وقامت والحمد لله عُمُدها ، وإنكم رعيتم فى البنين حقوقَ آبائها ، وحفِظْتم عليها ميراثَ عَلْيائها ، ولو لم تتَّصل بنا أنباؤكم الحَميدة ، وآراؤكم السَّديدة ، بما يفيد العلم بفَضْل ذاتكم ، ويقوى قوى الاسْتِحسان بصفاتكم ، لغَبَطنا بمخاطبتكم ومفاتحتكم ما نجده من الميل إليكم طَبْعاً وجِبِلَّة ، من غير أن نعتبر سبباً أو علَّةً ، فالتعارف بين الأرواح لا يُنكر ، والحديث الكريم يؤيد ما من ذلك يُنقل ويذكر ، وبحسَب ذلك نُطلعكم على غريب ما جرى به مُلْكنا القَدَر ، وحيث بلغ الْوِردُ ، وكيف كان الصَّدر ، ورعا اتَّصلت بكم الحادثة التى أكْفاها على دار مُلْكنا من لم يعرف غيرَ نِعْمَتنا غادياً ، ولا بَرِح فى جوانب إحسانها رايحاً وغادياً ، يَتيم حِجْرها

الكافل ، ورَضِيعَ دَرِّها الحافل ، الشَّقِي الخاسِر الخائِن ، الغادِر محمد بن إسماعيل المُسْتجير بنَا من لُؤم غَدْره ، الخفيَّة عنا حِيلُ مكره ، الخمولُ قدرُه ، إذ دعاه محتوم القَدْر [ليُهلك][1] إلى أن يهلك وسوَّلت له نفسه الأمَّارة بالسوء أن يملِّك أخانا الخاسر ثم يَمْلُك . وسبحان الذى يقول يا نُوح إنه ليس من أهْلك . وكيف تمّ له ما أبْرَمه من تسوُّر الأسوار ،واقتحام البَوار ، وتملُّك الدَّار ، والاستيلاء على قُطْب المدار . وإنا كنَفَتْنا عصمةُ الله بمُتَحوَّلنا الذى كان به ليلتئذ محل ثِوائِنا ، وكفَّت القُدرة الإلهيَّة أكُفَّ أعدائِنا ، وخَلَصنا غِلاباً بحال انفراد إلاَّ من عنايته ونِعم الرَّفيق ، وصِدْقِ اللَّجإ إلى رحمته التى ساحَتُها[2] عن مثلنا لا تَضِيق ، مهمى تنكَّر الزمان وتفرَّق الفَرِيق ، وثِرْدَمَة الغدْر تأخذ علينا كل فجٍّ عميق ، حتى أوينا من مدينة وادى آش إلى الجبل العاصِم من الحادث القاصِم ، والحجْوِ المرغمةِ أنف المخاصم ، ثم أجَزْنا البحر بعد معاناة خطوب ، وتجهم من الدَّهر وقُطُوب ، وبلى[3] الله هذا الوطن بمن لا يرجّى لله وقاراً ، ولا يألوا لشعائِره المعظمة احْتِقَاراً ، فأضرمه ناراً ، وجلَّل [وجوه][4] وجوهه خِزْياً وعاراً ، ثم انتهك الباطل حِماه ، وغيَّر اسمه ومُسَمَّاه ، وبدد حامِيَتَه المتجبِّرة وشَتَّتها ، وسخَّم دواوينه التى محصها الترتيب والتجريب وهذَّبها . وأهلك نفوسها وأموالها ، وأساء لولا تداركُ الله أحوالها . ولما تأذَّن جل جلاله فى إقالة العَثار ، وذَرْك الثَّار ، وأنشأت نوامِم رضاه إدامة الاستِغفَار ، ورأينا أن قِلادة الإسلام قد أذن انتِثَارُها والملَّة الحنيفيَّة كادت تذهب آثارها ، وسائِل الخلاف يتعدَّد مثارُها ، وجعلت الملَّتان نحونا تشير ، والمُلْك يأمل أن يوافيه بقدُومنا البَشِير ، تحرَّكنا حركة خفيفة تُشْعر أنها حركةٌ للفتح ، ونَهضْنا نبتدر ماكتب الله من المَنْح ، وقد

امتعض لنا الكون بما حَمَل ، واستخدم الفَلَك نفسه بمشيئة الله واكْتَمل ، وكاد يقرب لقرى طريقنا الثُّور والحَمَل ، وظاهرنا محلُّ أخينا السلطان الكبير ، الرفيع المعظم المقدس ، أبو سالم ، الذى كان وطْنُه مأْوى الجُنوح ، ومهبُّ النصر الممنوح ، رحمة الله عليه ، من مظاهرة مثله من الملوك الأعاظم ، وختم الجميل بالجَميل والأعمال بالخَواتم ، وأنِفَ حتى عدوُّ الدين لنعْمَتِنا المكْفُورة ، وحقوقنا المَسْتُورة ، فأصبح وإن كان العدوُّ حبيباً ، وعاد بعد الإباية مُنيباً ، وسخَّر أساطيله تحضيضاً على الإجازة وترغيباً ، واستقبلنا البلاد وبحرُ البشر يَزْخَرُ موجُه ، وفَلَكُ الإسلام ، قد بخرَّ على الحضيض أوجه ، والرُّوم مستولية على الثغور ، وقد ساءت ظُنون المؤمنين بالعُقبى ، ولله عاقبةُ الأمور ، والخبيثُ الغَادِر الذى كان يَوُّه بالإقدام ، قد ظهر كذبُ وعده ، وهان مَثْواه ، وتورَّط فى إشراك المندَّمة تورَّط من اتبع هواه ، ومجَّد نعمة مولاه . فلولا أن الله عز وجل تَدارك جَزيرة الأندلس بركابِنا ، وعاجل أوارَها بانْسِكابنا ، لكانت القاضِية ، ولم تر لها من بعد تلك الريح العقيم من بَاقِية ، لاكنا والفضل لله ، رفَعْنا وطأة العدو ، ووَفَدْنا بكَلْكَل ، وابتَزَزْناه منها إلى مَشْرب ومَأْكل ، واعتزَزْنا عليه بالله ، الذى يعزُّ ويُذِلُّ ، ويهدى ويُضِلُّ ، فلم نسامحه فى شرط يجرُّ غَضَاضة ، ولا يُخلف فى القلوب مَضاضة ، وخُضنا بَحْر الهَوْل ، وبَرِئنا إلى الله ربنا من القُدرة والحَوْل ، وظهرت للمسلمين ثمرة مسيرتنا [وما بذلنا فى مُصانعة العدوِّ عن الإجهاز عليهم ، من حُسْن سيرتنا][1] فقويت فينا أطماعهم وانعقد على التحوُّم بنا إجماعهم ، وقصدنا مالقة ، بعد أن انثالت الجهة الغربيه ، وأذعنت المعاقل الأبيَّه ، فيسَّر الله فتحها ، وهنَّأ منحها ، ثم توالت البَيْعات ، وصَرَخت بمآذن البلاد الوُعَّاظ[2] واضطرب أمر المخالف[3] وقد ذَلَّفت المخاوف إليه ، وحُسِب كل صيحة عليه ،

فاقتضت نَعامته الشَّامله ، ودولة بَغْيه الزَّائله ، وآراؤه القاتله ، أن ضَمَّ ما أمكنه من ذَخيرة مكنُونة ، وآلة ، للملك مَصُونة ، واستَركب أوْبَاشه الذين استباح الحقُّ دِمايهم ، وعَرَف الخلقُ اعتزاءهُم للغدر وانتماءهم ، وقصد سُلطان قَشْتالة ، عن غير عهد ولا ثقة ، ولا مُثْلى طَريقه ، ولا شِيمة بالرعى خليقه ، لا كن الله عز وجل حَمَله على قدمه لإراقَة دَمِه ، وزيَّن الوجود بَعَدمِه ، فلحين قدومه عليه ، راجياً أن يستفزَّه بعرض ، أو يحيل صحَّة عَقْده[1] المُبرم إلى مَرَض ، ومؤملاً هو وشيعته الغادرة ، كرَّة على الإسلام مجهزَّه ، ونصرة لمواعيد الشيطان مُسْتَنْجزة ، تقبَّض عليه وعلى شيعته ، وصمَّ عن سماع تخذيعته ، وأفحش بهم المُثلة ، وأساء بحسن رأيه فيهم القَتْلة ، فأراح الله بإبادتهم نفوس العباد ، وأحيا بهلاكهم أرْمَاق البلاد[2] . وحَثَثْنَا السير إلى دار مُلْكنا ، فدخلناها فى اليوم الأغر المُحَجل ، وحصلنا منها على الفتح الهنيِّ المُعَجل ، وعُدنا إلى الأريكة ، التى نَبا عنها التمحيص ، فما خَيبْناه إلاَّ سِراراً أعْقَبه الكمال ، ومَرَضاً عاجله الإبلال ، فثابت للدِّين الآمال ، ونجحت الأعمال . وبذلنا فى النفوس[3] من العفو ما تغمَّد الذنوب ، وجَبَر القلوب ، وأشعنا العفو فى القَريب والقَصِى ، وألبسنا المريبَ ثوبَ البريّ ، وتألفنا الشَّارد ، وأعْذَبْنا الموارد ، وأجْرَينا العَوايد [واستبنا الفَوايد][4] إلا ما كان من شِرْذِمةٍ عظمت جَرايرهم[5] ، وخبُثَت فى معاملة الله سرايرُهم ، وعرف شُومُهُم ، وصدق من يلومَهم ، فأقْصَيناهم وشرَّدناهم ، وأجليناهم عن هذا الوطن الجهادى ، وأبعدناهم .

المصدر: لسان الدين ابن الخطيب، مصدر سابق، ص ص 501–505.

قائمة المصادر
والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر

1. ابن أبي دينار، كتاب المؤنس في أخبار إفريقة وتونس، ط–1، مطبعة الدولة التونسية، تونس1286هـ،.
2. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج9، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ/2003م.
3. الادريسي، المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس، د.ط، مطبعة بريل، ليدن، 1863م.
4. الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، مج1، د.ط، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 1422هـ/2002م.
5. البيدق، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، د–ط، دار المنصور للطباعة الرباط، 1971م.
6. ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثانية، ج3، ص360. ينظر: ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، د.ط، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1326هـ/1908م.
7. حسن الوزان، وصف افريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.
8. الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، د.ط مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1974.
9. ابن خلدون: التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، د–ط، دار الكتاب اللبناني، 1979م.

10. ابن خلدون، تاريخ بن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6، د.ط، دار الفكر بيروت– لبنان، 1421هـ –2000م.
11. الرصاع، فهرست الرصاع، تح: محمد العنابي، المكتبة العنيفة، تونس، ص199.
12. الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح الحسين اليعقوبي، ط1، المكتبة العتيقة، تونس 1998م.
13. ابن الشماع: الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح الطاهر بن محمد المعموري، د ط، الدار العربية للكتاب،1984م.
14. شمس الدين أبي عبد الله بن محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح عبد الهادي التازي، مج 1، د–ط، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1417هـ –1997م.
15. القلقشندي، كتاب صبح الاعشى، ج3، د.ط، دار الكتب الخديوية القاهرة، 1332هـ/1914م.
16. ابن القنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تر: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، د، ط، الدار التونسية للنشر، 1968م.
17. لسان الدين ابن الخطيب، ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، تح: محمد عبد الله عنان، مج 1، ط1، مكتبة الخانجي القاهرة، 1400هـ/1980م.
18. لمارمول كاربخال، إفريقيا، تر محمد حجي وآخرون، ج3، دار المعارف الرباط– المملكة المغربية، 1409هـ–1989م.
19. محمد بن مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تح عبد المجيد خيالي، ج1، د–ط، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان 1971م.
20. محمود مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تح: علي الزواوي ومحمد محفوظ، ج1، ط1، دار المغرب الإسلامي، لبنان، 1988.

21. مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الامصار ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق.
22. المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ط1، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1863هـ/1949م.
23. الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج2، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1448هـ–1997م.
24. الونشريسي، المعيار، ج6، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الملكة المغربية، الرباط، 1401 هـ –1981.
25. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج 04، د.ط، دار صادر، بيروت، لبنان.
26. يحي ابن خلدون: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، د.ط، مطبعة بيير، بونطانا الشرقية، الجزائر، 1321هـ/1903م.

ثانيا: المراجع

27. أرسلان الأمير شكيب، خلاصة تاريخ الأندلس، د ط، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1403هـ/1983م.
28. برنشفيك روبار، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن13إلى نهاية القرن15م، تر: حمادي الساحلي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت–لبنان 1988م.
29. الجمل شوقي عطاالله ، المغرب العربي الكبير افي العصر الحديث، تونس ليبيا الجزائر المغرب، ط1، ملزمة للطبع والنشر، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، مصر.
30. الجيلالي عبد الرحمان بن محمد، تاريخ الجزائر العام، ج2، ط2، دار مكتبة الحياة، بيروت،1385هـ– 1965م.
31. زينب نجيب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، ج2، ط1، دار الامير، بيروت، لبنان، 1415هـ/1995م.

32. الشاهري مزاحم علاوي، الحضارة العربية الاسلامية في المغرب، د.ط. مركز الكتاب الأكاديمي.
33. الطالبي محمد، دائرة المعارف التونسية في تاريخ افريقية تر: محمد العربي عبد الرزاق ورياض المرزوقي، د.ط، بيت الحكمة قرطاج، 1994م.
34. الطويلي أحمد، في الحضارة العربية التونسية، د ط، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة –تونس.
35. عبد الوهاب حسن حسيني ، خلاصة تاريخ تونس، ط3، دار الكتب العربية الشرقية، تونس، 1373هـ.
36. بن عميرة محمد، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
37. بن عنان محمد عبد الله، دولة الإسلام في الاندلس، ج3، ق2، د.ط، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1411هـ/1990م.
38. غلاب عبد الكريم، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي عصر الإمبراطورية العهد التركي في تونس والجزائر، ج2، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت –لبنان، 1426هـ–2005م.
39. الفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، تر عبد الرحمان بدوي، ط 3، دار الغرب الإسلامي بيروت– لبنان،1987م.
40. كحيلة عبادة، تاريخ النصارى في الأندلس، ط1، المطبعة الإسلامية الحديثة، القاهرة، 1993م.
41. أبو مصطفى كمال السيد، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوي الونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية 1996.

42. أبو مصطفى كمال السيد، دراسات في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس، د.ط، مركز الاسكندرية للكتاب، الإسكندرية، مصر، 1997م.
43. المطوي محمد العروسي، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، د.ط، دار الغرب الإسلامي بيروت–لبنان،1406هـ–1986م.
44. منصور عبد الوهاب، قبائل المغرب، ج1، المطبعة الملكية، الرباط، 1388هـ، 1968م.
45. النجار عبد المجيد ، المهدي بن تومرت حياته واراؤه وثورته الفكرية والإجتماعية وأثره بالمغرب، ط–1، دار الغرب الإسلامي، 1403هـ/1983م.
46. هويثي أمبرو سيو، التاريخ السياسي للامبراطورية الموحدية، تع: عبد الواحد أكمير، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 2004.
47. هويكنز، النظم الاسلامية في المغرب في القرون الوسطى، تر: أمين توفيق الطيبي، د.ط، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1980م.

ثالثا: المذكرات

48. بو رملة عربية، امارة بني توجين بالونشريس خلال القرنين (07–08هـ/13–14م) من خلال كتاب العبر لعبد الرحمن ابن خلدون، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران –السانيا، 1430–1431هـ/2009–2010م.
49. حسين تواتي، الوظائف السلطانية في الدولة الزيانية –الكتابة أنموذجا– (633–791هـ/1236–1389م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحضاري للمغرب الإسلامي، شعبة التاريخ، قسم التاريخ وعلوم الآثار، كلية العلوم الإنسانية، والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بالقايد، تلمسان، 2014/2013م..
50. عامر أحمد عبد الله حسن، دولة بني مرين: تاريخها، وسياستها تجاه مملكة غرناطة الاندلسية والممالك النصرانية في اسبانيا (688–869هـ/1269–1465م)، أطروحة

مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 1424هـ/2003م، ص46.

51. محمد بركات البيلي، مدينة قابس منذ الغزوة الهلالية حتى قيام الدولة الحفصية، أطروحة مقدمة للحصول على درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، كلية الآداب للدراسات العليا، جامعة القاهرة، مصر، 1421هـ/2000م، ص03.
52. مريم محمد عبد الله جبوده، التجارة في بلاد إفريقية وطرابلس الغرب خلال العهدي الموحدي والحفصي، 1160–1572 م، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتورا في الأداب من قسم التاريخ شعبة التاريخ الإسلامي، كلية الأداب، جامعة الزقازيق، 2008.
53. هلال فؤاد، خطة مشيخة الغزاة للفترة 670 –783هـ/1271–1381 م، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الوسيط، تخصص تاريخ وحضارة بلاد الأندلس، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008–2009

رابعا: المقالات والمجلات

54. سالم أبو القاسم غومة، العلاقات السياسية وأثرها الحربي بين الدولة المرينية ودولتي الزيانيين والحفصيين ببلاد المغرب في العصر الوسيط، المجلة الجامعة، ع 18، مج2، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم، جامعة الجبل الغربي، 2016م.
55. لخضر بن بوزيد، السياسة الاستعمارية تجاه القبائل والعائلات المتنفذة في منطقة الزيبان (1830–1844م)، المجلة التاريخية الجزائرية، ع5، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ديسمبر 2017.

الفهرس

فهرس المحتويات

اهداء.....
شكر وعرفان.....
مقدمة .....أ-هـ

الفصل التمهيدي التعريف بالدولة الحفصية (627-981هـ/1229-1573م)

أولا: نسب الحفصيين. 7
ثانيا: تأسيس الدولة الحفصية. 8
ثالثا: الحدود الجغرافية للدولة الحفصية. 11
رابعا: لمحة موجزة عن تاريخ الدولة الحفصية. 11

الفصل الثاني ابن تافراجين وإسهاماته السياسية (730-749هـ/1329-1349م)

المبحث الأول: التعريف بشخصية ابن تافراجين **..... 15**
المطلب الاول: اسمه ونسبه وأسرته 15
المطلب الثاني: حياته.....20
المطلب الثالث: وفاته:.....21
المبحث الثاني: دور ابن تافراجين السياسي في عهد السلطان الحفصي أبى بكر بن يحي (730-747هـ/1329-1347م)**..... 22**
المطلب الأول: الإنجازات السياسية لابن تافراجين (730-744هـ/1329-1344م) 22
المطلب الثاني: الإنجازات السياسية لابن تافراجين (744-747هـ/1343-1347م) 25
المبحث الثالث: دور بن تافراجين في تولية السلطان أبي حفص عمر الحكم (747-748هـ/1347-1348م) **..... 28**
المطلب الأول: بيعة السلطان أبي حفص عمر.....29
المطلب الثاني: مطالبة أبي العباس أحمد بحقه في الولاية وفرار ابن تافراجين. 30
المبحث الرابع: دور ابن تافراجين بالتدخل المريني**..... 32**
المطلب الأول: تحريضات ابن تافراجين للسلطان المريني 32

المطلب الثاني: موقف ابن تافراجين من السلطان المريني بعد استلائه على إفريقية: 36
الفصل الثالث إسهامات ابن تافراجين السياسية (750-766هـ/1349-1365م)
المبحث الأول: دور بن تافراجين في تولية السلطان أبي إسحاق بن إبراهيم الحكم. **.....42**
المطلب الأول: عودة بن تافراجين وعزل السلطان أبي الفضل. 43
المطلب الثاني: بيعة السلطان أبي إسحاق بن إبراهيم. 44
المبحث الثاني: دور ابن تافراجين في عهد السلطان أبي إسحاق **.....46**
المطلب الأول: سياسة ابن تافراجين اتجاه الأعراب والولايات الجنوبية:.....46
المطلب الثاني: مواجهة ابن تافراجين للمخاطر وحركات التمرد:.....48
المطلب الثالث: إسترجاع ابن تافراجين لبجاية وجزيرة جربة. 54
المبحث الثالث: علاقات ابن تافراجين الخارجية «الدبلوماسية» **.....56**
المطلب الأول: علاقته مع جمهورية البيزة. 56
المطلب الثاني: علاقته مع مملكة آرغوان (Argon).....58
المطلب الثالث: علاقته مع بني الأحمر في غرناطة. 60
الخاتمة **.....63**
الملاحق **.....65**
قائمة المصادر والمراجع: **.....85**
فهرس المحتويات **.....92**